

خالد محمد خالد

كما تحدث القرآن



الطبعة السابعة

جمادى الآخر ١٤٢٥ هـ - أغسطس ٢٠٠٤ م
القاهرة

جميع الحقوق محفوظة للناشر

دار المقطم للنشر والتوزيع

٥ شارع الشيخ ربحان - عابدين

القاهرة

تليفون: ٧٩٥٨٢١٥ - ٧٩٦٦١٠٩

فاكس: ٥٠٨٢٢٣٣

email: elmokatam@hotmail.com

مُتَكَلِّمًا

في فبراير عام ١٩٦٢م صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب، وكان يمثل أول محاولة من جانبي للدراسات القرآنية المباشرة، ولم يكن - كما سيراه القارئ - يتبع المنهج التقليدي الذي يتناول القرآن العظيم عن طريق تفسير السور أو الآيات، بل كان يمثل نمطا آخر يتناول القرآن من خلال القضايا والموضوعات.

فهو - مثلاً - يعرض قضية «الإنسان العادي» رمز الكادحين البسطاء الودعاء، أو قضية «وحدة الدين»، أو سوامعا من القضايا التي تجدونها بين دفتي الكتاب، ومن خلال هذه القضايا بولي وجهه شطر القرآن الكريم، متتبعا آياته التي تضيء هذه القضايا بنوره، وتغطي احتياجاتها بحكمته.

ولقد كان العزم - ولا يزال - أن يكون هذا الكتاب بمثابة الجزء الأول، تتلوه عدة أجزاء.

بيد أنني بعد صدوره، نادتنني سير الخلفاء الراشدين، وسير الرجال الذين نهضوا حول الرسول... واستغرق تأليفها وإخراجها من الوقت ما شغلني عن متابعة كتاب [كما تحدث القرآن].

والآن، وأنا أقدم هذه الطبعة الجديدة منه، والتي تقوم بنشرها «دار المقطم» للنشر والتوزيع بالقاهرة، يأخذني ذلك الحنين القديم إلى إتمامه، ولا يكون ذلك إلا بتوفيق من الله وفضل.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن ييسرنا لليسرى، ويتم نعمته وعافيته علينا، ويهدينا سواء السبيل.

القاهرة: ١٩٩٤ م

خالد محمد خالد

مُقَدِّمَةٌ

حول مائدة القرآن، نلتقي اليوم ضيوفاً مباركين..

هذا الكتاب الذي وفد على الدنيا منذ ألف وأربعمائة عام، والذي ألقاه «روح القدس» على قلب الرسول محمد؛ ليكون من المنذرين، ﴿يَلْسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشراء: ١٩٥]..

ولقد اختلف ناس كثيرون حول هذا القرآن الكريم منذ اللحظة الأولى لمجيئه..

وحتى اليوم، لا يزالون يختلفون.

بيد أن الحقيقة التي لم يختلف فيها أحد، ولم يجعلها جاحد ومعه عقله، هي تلك المعجزات العظمى التي حققها القرآن، بما شاد من عالم، وبما رفع من قيم، وبما أضاف إلى الحضارة الإنسانية من أرصدة لا تفنى، عن طريق الدنيا المسلمة التي أيقظها، وجمع شعثها، وأخرج خبثها النفيس، وجمعها تحت رايته وإيمانه.

فالإسلام بكل فتوحاته العقلية والروحية والحضارية، لا يذكر إلا ويذكر- قبلاً- هذا القرآن الذي كان مَعْقِدَ العزم، وموطن السر،

وجماع الطاقة .

هذا الكتاب الذي لم يخلف موعده مع القلة المؤمنة التي كانت ذات يوم بعيدة تستخفي بإيمانها، وتهرب بحياتها من الشر المتربص بها في طرقات مكة ومنحباتها .

لقد وعدنا القرآن - يومئذ - أحلاماً تذهل من فرط خيالها الأحلام !!

لكن . . لم تكد الأيام نمضي حتى صار الحلم حقيقة، والخيال وثيقة، وإذا العقيدة المستخفية المرتجفة تأخذ مكانها فوق الشمس، وإذا الدنيا تدور في فلكها، وإذا بها تنجب الدعاة الربانيين، والحكام العادلين، والعابرة، والفلاسفة، والعلماء . . ويتفيا الناس ظلالها أفواجا وزمرا، وتردد ملايين اللسنة، في عشرات الأقطار، آيات ذلك القرآن العجيب والكتاب الممين .

وهذه الصفحات التي تطالعها تحت عنوان «كما تحدث القرآن» لا نزع لم أنفسها أنها تقدم القرآن، أو تفسره، أو تنتظم بحثنا عنه - إنها تلقي السمع لا أكثر، وترسل البصر وراء موكب من آياته الباهرات .

إننا نقرأ الآية من القرآن فلا تلبث حتى تذكرنا بآية أخرى مماثلة لها، ثم تنادي الآية الثانية إلى خواطرنآ آيات أخرى كثيرات . . وإذا نحن آخر الأمر أمام قضية كاملة، كونت الآيات المبنوثة هنا وهناك كل عناصرها، وقالت فيها قولاً بليغاً .

ولقد أغراني هذا بأن أتبع بعض الآيات البيئات على هذا النسق .

فإذا آيات، يتحدث القرآن خلالها عن نفسه، وي طرح بنفسه كل ما

يدور حوله من أسئلة الشك واليقين .

وكانت هذه - الفصل الأول من كتابنا هذا .

ونادتني آيات أخرى ، وجدتها في النهاية تُنحي القوة عن طريق الحق ، وتضع المنطق والحجة والإقناع مكان التسلط والإكراه .

وكانت هذه - الفصل الثاني من الكتاب .

وسرت وراء مجموعة ثالثة من الآيات ، فإذا أنا أمام كل حقوق «المواطن العادي» يرسم القرآن في بهاء عظيم كل مبادئها الأساسية ، ويرفع بها راية البعث للجماهير الكادحة ، وللناس البسطاء الودعاء .

وكانت هذه - الفصل الثالث من الكتاب .

ثم بصرت بآيات تتبع القرآن بها مآسي الناس وكرباتهم وحاجتهم وشكاراتهم . . تتبّعها في حنان واهتمام ويقظة ، فبهرتني الطريقة التي يتلقى ويعالج بها تلك المشكلات .

وكانت هذه الآيات - الفصل الرابع من الكتاب .

ثم ألقىيت السمع وهو شهيد ، والبصر وهو منبهر وحديد ، إلى آيات سمعتها تعزف لحنا عجبا ، لحن «وحدة الدين» . . الدين واحد منذ أول داع إلى الله حتى محمد خاتم الأنبياء والمرسلين .

وكانت هذه - الفصل الخامس من الكتاب .

ثم دعاني المشهد الحافل ، حيث الأرض هناك غاصة بالأصنام المهشمة ، والأوثان المحطمة ، والأرباب الكاذبة المخلوعة ، والخرافات المشخنة ، وأدركت من فوري أنني أمام الأرض التي دارت عليها أعظم

معارك القرآن ، معركة «التوحيد» .

وعلى صدح الآيات التي تعلن وجود الله ووحدانيته ، كان الفصل السادس لهذا الكتاب .

عبر هذه الرحلة القصيرة الممتعة ، لم أحاول أن أخلع على الآيات معنى أريده ولم أكلفها غايات لا تريدها ، بل تركتها تقودني وحدها إلى غاياتها الباسلة الجلييلة ، فإذا أنا أمام فتح عظيم مبين ، أتمه القرآن لحساب الإنسان . . لحساب عقله ، وكرامته ، وضميره .

ولقد يأذن الله ذو الفضل العظيم فنعود إلى متابعة هذه الرحلة التي يتحدث القرآن خلالها ، ونصني نحن إلى هذا الحديث .

ولقد أوحى إلى انبثاث الآيات وتفرقها في كثير من السور ، بينما هي حين تتجمع في مكان واحد أو سورة واحدة تكون قضايا مكتملة العناصر والسمات . . أقول : أثارت هذه الظاهرة في نفسي هذا السؤال :

- لماذا لم يُرتَّب القرآن نفسه ترتيباً موضوعياً ؟

فيجمع في سورة «النساء» - مثلاً - كل آياته التي تعرض قضية المرأة وحقوقها .

ويجمع في سورة «الشورى» كل ما قاله عنها .

ويجمع في سورة «الأنبياء» كل ما يريد أن يقوله عنهم . . وهكذا .

ولم أبحث عن الجواب طويلاً ، فسرعان ما أدركت في ضوء القرآن نفسه أن القرآن لم يرتب نفسه ترتيباً موضوعياً لسبب يسير ، هو أنه ليس كتاباً مؤلفاً .

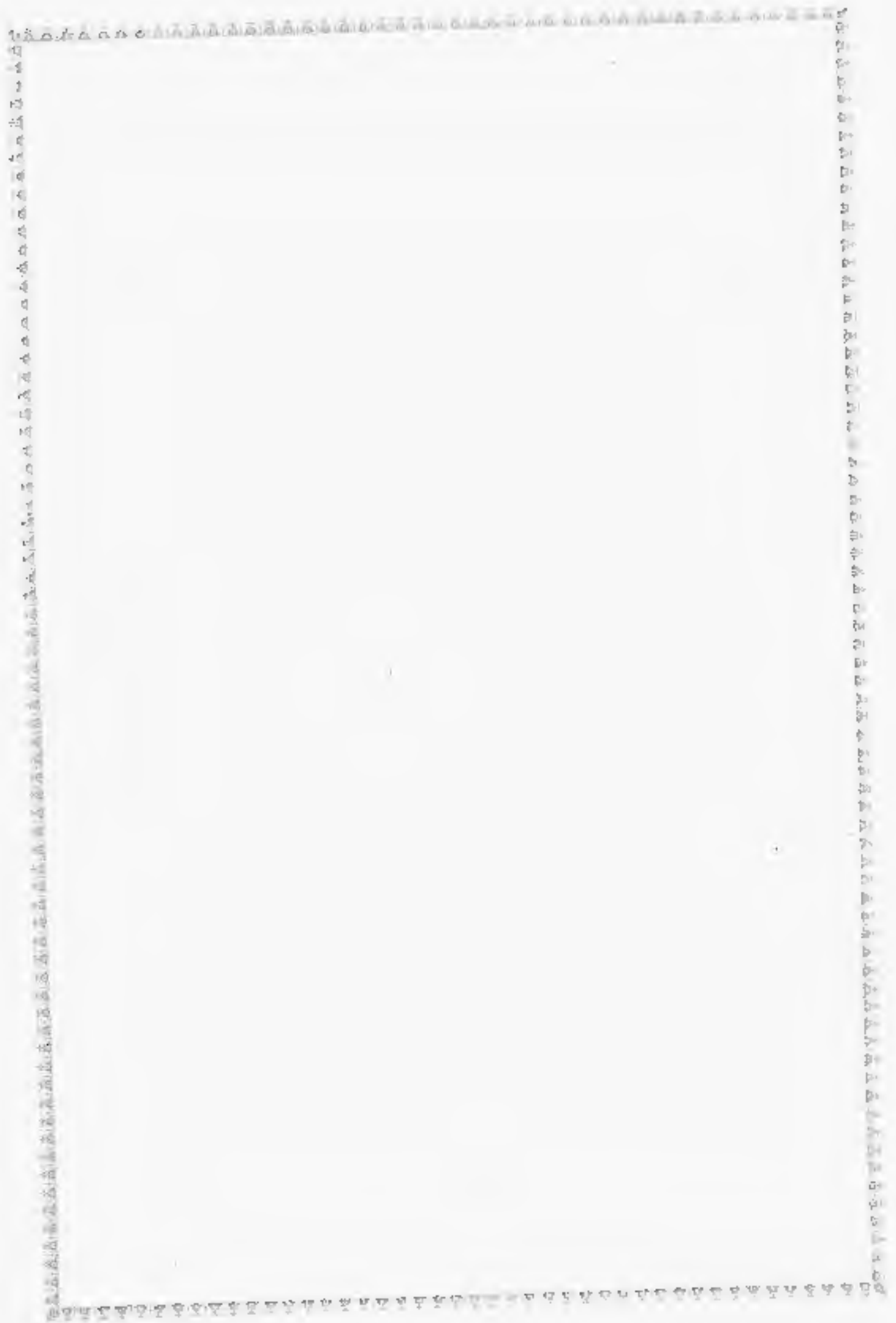
أجل . . فلو كان القرآن كتاباً مؤلفاً لانتهج ذلك الذي لم يكن يؤوده أو يعجزه .

ولكن القرآن، هتاف بآيات الحق والهدى، يعطي المناسبة حقها في كل حين . ولو كان الرسول عليه الصلاة والسلام مؤلفاً للقرآن لعمد - ولو في آخر عهده بالدنيا - إلى ترتيب القرآن وفق المادة والموضوع .
ولكن الرسول لم يكن يؤلف القرآن، إنما كان يتلقاه .

وفي أسـمى حالات التفتـح الروحي، كانت الآيات البينات تهطل كالغيث بالهدى ودين الحق، ناقضة عن الضمير الإنساني غبار الجهل، وعمية الخرافة، ووطأة الرضوخ .

كانت ولا تزال تهدي للتي هي أقوم غاية، وأهدى سبيلاً .

خالد محمد خالد



الفصل الأول

عن نفسه

﴿يَذَكِّرُكَ آيَاتُ الْكِتَابِ﴾

مائتان وثلاثون آية أو تزيد، تحدث القرآن فيها عن نفسه، وطرح
حلالها كل الأسئلة التي تتعلق به، وأجاب عنها.

ما هو؟

من أين جاء؟

ولماذا جاء؟

هل هو سحر؟ هل هو شعر؟ هل هو إفك مفترى؟ هل هو أساطير
الأولين؟

هل هو بقص لما سبقه، أم هو مصدق الذي بين يديه من الكتب؟

ولماذا لم يأت جملة واحدة؟

وهل جاء لقريش وحدها، أم هو ذكر للعالمين؟

وما موقفه من الدين ارتابوا فيه، والدين حاصموه ووبوا عنه مدبرين؟

عشرات الأمثلة طرحها لقرآن ناعا، وأجاب عنها في وصوح كما

جلى بها حقيقته وحكى بها قصته

وأول ما يلقاك حين تفتح المصحف هذه الآيات

﴿الْم ۝ دَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى
لِّلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا
أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِمَّا أُنزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ
۝ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْمُقْلِحُونَ﴾ [البقرة 1-5]

هذا هو القرآن، وهذه هي أسرته

أما هو فكتب ﴿لَا رِبَّ إِلَّا هُوَ هَدَى لِلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢٠١]

وَأَمَّا أَسْرَاهُ فَهُمْ أُنْدِييَ ﴿يُؤْمِنُونَ﴾ بِمَا أُرِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُرِلَ مِنْ

قَبْلَكَ ﴿[البقرة: ٤]

وإنها البداية سعيدة وباهرة، يخفي لقرآن بها عن نفسه صفة الإنليحية والعنصرية والطائفة.

فجميع الذين لهم إيمان بالله، وبحق، ولعيب القرآن كتبهم.

وهو - إذن - لم يأت لينصص ما سبقه ، بل جاء يكمل ويتمم

والديں یؤمنوں یہ یؤمنوں حتما وصما پکن ما سبقه من کتاب

أما الذين يقفون بإيمانهم عند مص الكتب السامقة لا غير، فأولئك

يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض

﴿رَزَقَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأُتِرَ

التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿١٩﴾ مِنْ قَبْلُ هَذِي لِلنَّاسِ وَأَرْسَلَ الْفُرْقَانُ ﴿٢٠﴾

[آل عمران ٣ ١]

وإذا كانت التوراه والإنجيل الكتب التي يتحدث عنهما القرآن -
ثم يكونا هدية ولا صلا لا، إنما كانا رحمة للناس وهدى، فكذلك القرآن
الذي جاء يتمم رسالة الكتب لسابقة والصادقة.

﴿وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ
تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ
مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس ٣٧]

وهذه - لدى القرآن حقيقة لا يسعي أن نعيب عن المؤمنين بل كتب
السابقة إذ كانوا لا يحسون إيمانهم، ولا يحرفون الحقيقة أو يكرهوها

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
يُحِقُّ بِالْآيَاتِ﴾ [الأنعام ١١٤]

يبد أن هناك فريقا سيحمد إيمانه عند أحد الكتب السابقة، وحين
يُدعى إلى الإيمان بهذا القرآن سيكفر وبشي عظمه

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَرْسَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا
أُنزِلَ عَلَيْنَا وَنُكْفِرُوكَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا
لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة ٢٩]

والقرآن يرى في هذا الموقف إنكارا لقضية الإيمان كلها، فما دام هو
مصدق لما بين يديه من كتب فلماذا لا يشملها إيمان المؤمنين بها؟

وبعد - وهو في هذا الموقف بالذات يناقش كبار اليهود الذين حملوا

يرمئذ رايه الجحود والعداوة بلقرآن لماذا يكفرون به وقد كنوا من قبل
يستفتحون على الدين كفروا؟ لماذا يجحدونه اليوم؟

يقولون: به الولاء لإيمانهم وكتابهم وأسيانهم

وعندئذ يتجه القرآن سريرتهم قتالا

﴿فَلِمَ تَقُولُونَ إِنِّيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ

مُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة ٩١]

وهو يريد باطلهم دحضا وححتهم صعما حين لا ينكر من الكتب
السابقة شيئا، ولا ينكر عليها شيئا، بل يجعلها دائما موضع إحلاله وتوقيره

﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كَتَبْتُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [الأحقاف ٢]

﴿وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ الْأَنْجِيلِ بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ فِيهِ﴾ [المائدة ٤٧]

ثم هو يدعز المزمعين به إلى لإيمان بكل ما سبق من نبي ورسول

وكتاب

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا

إِنْزِيلًا وَنَسْمِعُ وَنَسْمِعُ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ

مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ

بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة ١٣٦]

ثم يلتفت القرآن صوب محمد رسول الله، فيحصره أن ادب

يجحدونهما مع القرآن ورسول - إنما يستعجبون لجهالات بملئ بهم،

وأحقاد تستحوذ عليهم

والذي يصدر عن جهن حروب، أو تعصب أعمى، أو حقد متناث، لا يريده رصوح، نهجة وانتصارها إلا صدودا وحجودا، فانصرت أنت في طريقك غير عاصي بهم، ولا اسر عليهم ﴿وَلَا يَرْبُدُ كَثِيرٌ مِّنْهُمْ مَّا أُرْسِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [النمل: ٦٨]

وبسم الله الذي يسهج القرآن في محاحه أهل الكتاب، يواحه من قبل عدة الأوثان من مشركي مكة وكمارها. هؤلاء الذين قدسوا عن القرآن إنه

﴿أَضَعْتُ أَحْلِمَ بَلِّ أَفْرَنَهُ بَلِّ هُوَ شَعْرٌ فَلْيَأْنِ
بَلِّ بَقَرٍ كَمَا تُرْسِرُ لَأُولُونَ﴾ [الأنبياء: ٥]

وقالوا عن أنفسهم ﴿قُلُوبًا فِي أَكْتَةٍ مَّذَا نَدْعُونَ إِلَيْهِ
وَفِي عَادِيَةٍ وَقَرٍّ وَمِنْ بَيْتٍ وَبَيْتٍ حِجَابٌ﴾ [سجدة: ١٥]

وقالوا ﴿أَسْطِيزُ لَأُولِي أَكْتَةٍ فَهِيَ تُمَلِّ
عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥]

وقالوا: ﴿فَكَ قَدِيرٌ﴾ [الاحقاف: ١١]

وقالوا: ﴿إِنَّمَا يَعْلَمُ بَشَرٌ﴾ [الحج: ١١٣]

هؤلاء الذين لم يدعوا اتهاماً يدين من قرآن في دعمهم. لا اقروهم هؤلاء الذين رآوا في القرآن قدر حياء يدع نبي الكهنة، وبني اتصال اسدي وجدوا آباءهم عليه عاكفين، تدرج لقرآن معهم في سبيل نهضة أضعدهم، وتصحيح فهمهم، وتألف قلوبهم.

وهو يد يدرك دور الأنبياء التي تحرك الناس وتحدد الكثير من
وحياتهم يسأل كفار قريش ، لماذا اتحاصمون القرآن؟ أحوا فامه على
أعجاذكم؟ ويحكم ، دد إله إذا كان لكم مجد يرتقب فليس يصديكم به سب
مثما يصصكم به هذ الفرقان

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا
تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠]

رأدا كنت الأمم لا يحدد أمجادها شيء مثما يخلده انتشار عبدها
ولعتها ، فهذا الكتاب مسصكم بى الحدود

﴿يَا أَرْسَلْنَا قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [سورة ١٢]

﴿يَلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٥]

﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا عَزِيزٍ ذِي عَوْنٍ﴾ [الزمر: ٢٨]

على أن هذ القرآن وهو يدكر لمشركين بهذا النفع الأدبي الذي سيعينه
عليهم إيمانهم به ، لم يكن يريد أن يملكهم ، أو يحصمهم على أن يشتر
علاقاتهم به وفق هذ النفع وهذا الاعتبار

إنما كان يدلل لا غير - بعض الصعاب التي تنفيها عرائزهم في
طريقهم ، وإلا فهو إذ يمن عليهم بأنه عربي مبين ، يكشف في نفس الوقت
عن التبعات الكبرى التي تترتب على هذ الاعتبار

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ،
لِنُبَيِّنَ لَهُمْ﴾ [إبراهيم: ١٧]

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ بِسَيِّئِكَ لِيُنْفِرَ بِهِ الثَّقِيلَ
وَتُسَوِّرَ بِهِ قَوْمًا لَّدُنَّا﴾ [مريم ٩٧]

﴿فَإِنَّمَا يَسْتَرْزِقُهُ بِسَيِّئِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [الدخان ٥٨]
﴿رَلَّوْا رُلَّكَ عَلَى بَعْضِ الْأَغْصِمِ ۖ فَرَأَاهُمْ مَّا
كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء ١٩٨-١٩٩]

فهو كتاب عربي مسر، يحاطبهم باللغة التي يفهمون، ويدعوهم إلى
الله الحق الذي هم به مشركون

وحين يذهب حصوم القرون في عدونه كل مذهب، يتعقبهم القراء
ناقض إفكهم وداحضا باطلهم بأسلوب إيجابى سمح، لا يُغنى بتصيد
قولهم، لأنهم لا يقولون منطق يستحق التفسد، إنما بغنى يكشف محاسنه
هو ومزايابه، وتبيان نفعه، وإلقاء مرید من الصوء على حقيقته

فهم - مثلاً - يقولون للرسول عليه الصلاة والسلام
﴿فُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِمَّا نَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي ءَادِيَا وَقَرٍّ
وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ رِجَافٌ﴾ [صمت ٥]

فيرد عليهم القرآن مقررًا أن ذلك أمر طبعى ويقول
﴿بَلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَبَيِّنَاتٌ وَالَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ فِي ءَادَائِهِمْ وَقَرٍّ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَصَى
أُولَئِكَ يُبَادُونَكَ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [صمت ٤٤]

وهم حين نفلس حجتهم ويقولون للرسول : ﴿أَنْتَ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ

هَذَا ﴿ يَكْشِفُ الْقُرْآنُ عَنِ النَّوَاءِ مَسْجُودَهُمْ فِي التَّكْبِيرِ ، وَيُبَيِّنُ أَنَّ الْأَرْمَةَ الَّتِي يَعْبُوْنَهَا لَيْسَتْ أَرْمَةُ الْقُرْآنِ ، بَلْ هِيَ فِي الْحَقِيقَةِ أَرْمَةُ الْإِيمَانِ فَهُمْ فِي رَيْبٍ ، بَلْ هِيَ جُحُودٌ بِالْحَقِيقَةِ الْكَرَى ، الَّتِي جَاءَ الْقُرْآنُ يَقْرِرها وَيُشْرِعُهَا عِبْرَهَا

وَمَا دَعَا لَا يُؤْمِرُونَ بِهِ لَوْ أَحَدٌ ، وَلَا يَرْحُونَ قَاءَهُ فَيَسْطِطُونَ هَكَذَا يَعْمَهُونَ

وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِأَنَّ وَرَاءَ هَذِهِ الْآيَاتِ بِهَا حَكِيمًا عَلِيمًا مَا طَسُوا الرُّسُولَ تَبْدِيدَهُ ، وَبَعَرُوا أَنَّهُ لَا يَمْلِكُ هَذَا لِحُزْنِ أَمْدٍ .

﴿ وَإِذَا قُتِلَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتُنَبِّئُهُمْ بِغَيْرِ هَذَا أَوْ نَدَّبُهُمْ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُمْ مِنْ نِيقَاتِي نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَبْتُكُمْ بِهِ ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِنْ

قَبْلِهِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [سورة النازعات ١٥-١٦]

ويؤكد القرآن هذا بمعنى لرسول الله حتى لا يصق صدره ، إذ يراهم يكذبون بالقرآن ويستكفون عن طاعته

يؤكد القرآن لرسول الله نور آياته يُعْشَى أُنْصَارَهُمْ ، ويفتحهم قلوبهم العلف المعقنة ، وأنهم لا يشكرون في صدقه ، ونكر أرمتهم الحاققة هي حرصهم على أنهتهم ، وكرامتهم بالله الحي القيوم وما دام القرآن يهتف

بوحدايه الرب ، فهم عنه معرصون .

﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِبَيِّنَاتٍ أَنَّهُ
يَجْعَلُونَ﴾ [النمل ٣٣]

﴿وَإِذَا دُكِّرَتْ رَتَكَ فِي الْقُرْآنِ وَحَدِّمْ وَلَوْ عَلَى أُنْسِهِمْ
نُفُورًا﴾ [النمل ٤٦]

﴿فَأَسْمَيْكَ بِأَيْدِي أَوْحَى إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ
مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥﴾ وَإِنَّهُ لَدَكِّرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿١٦﴾
وَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْتُمْ دُورَ
الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعَذِّبُونَ﴾ [الحج ١٥-١٦]

وحين يلجأ المشركون تارة ، وايهون تارة أخرى ، إلى التشكيك في
انقرآن ، راعمين أن الله لا يرس على أحد من الناس وحيا ، وقائلين ﴿مَا
أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَى نَشْرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [النمل ٩١] بحجبتهم القرون الكريم قائلا

﴿فَمَنْ أَرْسَلَ الْكَتَبَ الْأَدْنَى جَاءَ بِهِ، مُوسَى نُورًا وَهُدًى
لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ فَرِطِينَ تُدْوسُهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعِلْمُكُمْ
مَا لَوْ قَالُوا أَنَّهُ وَلَا آءَاءُكُمْ﴾ [النمل ٩١]

ثم يلتفت إلى ارسول قائلا

﴿قُلِ اللَّهُ شَهِدَ ذُرَّهُمْ فِي حَوَاصِهِمْ يَلْعَنُونَ﴾ [النمل ٩١]
﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ﴾ [يوس ٣٩]

وحين تأخذهم العزة بالإثم ، ويعجبون لماد ، لم يجد الوحي سوى محمد ليتزل عليه ويأتيه بهذا القرآن بجيبهم .

﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام ٢٤]

وإذ يأخذهم العرور الأهوح الكاذب ويصنون أنه لو كان هذا القرآن حقاً لهدتهم إلى الإيمان به قلوبهم ، وما انتف حولهم المستصعمون من دونهم ، يرد عليهم لقرآن في تهكم ذكي :

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَدَّيْنِ يَدَيْنَا لَوْ كَانَ حَظًّا
مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِمْ فَسَبِقُولُونَ هَذَا
إِذْ كَفَرُوا﴾ [الاحزاب ١]

ويعن الكفار في إفكهم يعنون في محاولتهم العجزة المملسه ، فينتعون القرآن بكل ما توحى به أحقادهم فهو في رعمهم سحر ، وتارة شعر ، وتارة مفتري ، وتارة كهانة !!

ويدمدم القرآن عليهم بمطوق يحفظ أبصارهم ، ويدك أبطيلهم .

وتتتابع الآيات في شيد قدسي مجلجل :

﴿وَلَا أَقِيمُ بِمَا تُصْرُونَ وَمَا لَا تُصْرُونَ إِنَّمَا لَقَوْلُ رَسُولٍ
كَرِيمٍ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ
قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَلَوْ نَقُولُ عَلَيْنَا بَعْضُ
الْأَقَاوِينِ لَأُحْدِثْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا يَكُفُّ
مَنْ أَحَدٍ عَنْهُمْ حَرِيصٍ وَمِنْهُمْ لَمُذَكِّرٌ لِلْمُتَّقِينَ وَإِنَّا سَعَدْنَا أَنَّ

مَكْرُ مُكْذِبِينَ وَإِنَّ لِحَسْرَةً عَلَى الْكَافِرِينَ وَإِنَّ لِحَقٍّ

الْيَقِينِ ﴿[الحاقة ٣٨-٤٠]﴾

ثم يشي رمام الحديث في ختم حاسم حافل، موحها لقلوب إلى
الرمول

﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة ٧٤]

ويتركهم القرآن يتخطون في عيظهم، وينهاوون تحت أصواته السابعة
كلها من المخول، حين يعد في حرم أنه لن شعل نفسه مترهاتهم، وأنه
سيمصي محقق ضمرا بعد طهر، وفتحاً قلوباً إثر قلوب، وهادياً إلى الله
وإلى الصراط المستقيم أحياناً من بعدها أحياناً، مسلحاً بالكلمة المصينة
الهادية

أجل، بالكلمة وحدها الكلمة التي لا تتكون من أبسوة ولا رمح،
بل من حروف بسيطة مهنة

﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [يوس ١]

﴿طسّر ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴾ [الشع ١٠٠ ٢]

﴿طسّر تِلْكَ ءَايَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل ١]

﴿لَعَلَّ ﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ ﴾ [الجماد ٢]

بهذه الكلمات الميسرة في تركيبها، المعجزة في جوهرها، الفاصدة
في منطقها وحجتها يمضي القرآن محلها ورءه كيد الكائدين له والمترصين
به، جعلاً حسب أولئك الذين فتحوا آياته قلوبهم

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذْ ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ
وَبَدَأَ ثَلَاثَ عَلَيْهِمْ ءَايَتُهُ رَادَّتْهُمْ إِيْمَانًا وَعَلَى
رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنعام ٢]

ولهؤلاء يقدم نفسه وينشئهم ما هو . وكيف يشرون ولماذا يحيى

إنه :

﴿يَبَادُّ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [ال عمران ١٣٨]
﴿وَأَنذِرْ لِّلزَّلِزْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [زلزل ١] ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾ [الشعرا ١٧٦]
﴿عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾ [الشعرا ١٧٦-١٧٧]
﴿فَنَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ
ءَامَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ﴾ [الحج ١٠٢]

وبماذا نزل، ولماذا نزل؟

ما موضوعه؟ ما وجهته ورسالته؟

يجيب القرآن في إيجاز مبدع شامس عميم :

﴿وَيَلْحَقْ أَرْسَلَهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء ١٠٥]
﴿مَا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾ [الشعرا ١٧٦] ﴿إِلَّا نُنَكِّرَهُ لِمَنْ
يَحْتَقَى﴾ [الشعرا ١٧٦-١٧٧]

﴿كَتَبْنَا أَرْسَلَهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ
الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّبِينٍ﴾

الحَسِيدُ ﴿[إبراهيم ١]﴾

ولماذا لا تأتي آياته كما يهوى الناس ، وساعة يريدون ؟

﴿وَمَا سَنَزِلْ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ شَيْئًا﴾ مريم [٦٤]

ولماذا لم ينزل جملة واحدة ؟

﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان ٣٢]
 ﴿وَفَرَّغْنَا قَاسَمَهُ لِلنَّقَارِمْ عَلَى الْأَسَاسِ عَلَى مَكْثٍ وَرَتَّلْنَاهُ
 نَزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦] .

ولماذا لم يعنح جميع لقلوب سورة ما دام حقا ، ولماذا لم يطو أفئدة
 ابطالمين ؟

﴿رَنَزِلْ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
 وَلَا يَرِيدُ أَطْغَايَ إِلَّا حَسَارًا﴾ [الإسراء ٨٢]
 ﴿وَلِيَنصُرَهُ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النور ٧٧]

وما طبيعة تركيبه ؟

﴿مِنْهُ ءَايَاتٌ تُخَكِّمُ هُنَّ أَمْ الْكِتَابِ وَأَمْرٌ مُّتَشَبِهٌ
 فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ
 الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ
 وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا
 وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ال عمران ٧]

ولم يأت هذا القرآن؟ القرشي وحده. أم بعرب جميعا أم للناس كافة؟ إنه لهؤلاء جميعا، لقرشي ولجميع حولها من العرب، وللعالمين.

﴿وَإِنَّكُمْ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الحرف ٤١]

﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَرْسَلْنَا بِمُصَدِّقٍ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ

وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام ٩٢]

﴿إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ﴾ [ص ٨٧]

إنه تنزيل رب العالمين، فليكن إذن للعالمين جميعا للناس كلهم

﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [الزمر ٤١]

﴿هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ

يُوقِنُونَ﴾ [البقرة ٢٠]

هكذا حدثنا القرآن عن نفسه.

هكذا أعطانا طرفا مصيئا من قصته، ومن رحته، كما أعطانا قسا من

جوهره وحقيقته

ومن خلال الآيات التي تلونها ومن خلال آياته جميعا، نرى كذا

عجب وفرقا عظيما، عقد بينه وعزمه على تحقيق أسمى غاية ويلوع أعظم

عرض، ألا وهو إحراج الناس من انظلمات إلى النور، عن طريق هدم

الخرافة، وإعلان سيادة العقل ووصل الإنسان بالرب

ولقد قام هذا الكتاب المبين في أقل وقت بأعظم عمل، وأجر في

صنع سوات المهمة التي عقد عزمه على إنجازها، وجعل حمته والمؤمنين به رؤاذا ينتشرون في الأرض، في قلوبهم إيمانهم، وفي أيمانهم ثرائهم.

وفي عشرات البلاد والأقطار بكست أعلام، ودالت دوى، حيث ارتفعت مكانها راية القرآن، وقام عالمه!!

وعلى طول الرمس، مد ألف وأربعمائة عام. لى يوم الناس هد وإلى أيامهم المقبلة، وانقرآن ناشر صياء، مديع بداء، يهدي إلى الله الأحد عالما متراحب الأبعاد، وخلائق وافرة الأعداد.

كل كلمة من آياته شريعة، وعقيدة، ومشعل حديد الصبء، على طريق القافلة لمؤمنة.

وقديما وقعت فريش تأتمر في بأس ويأس آيات هد القرآن، وهى تنزل آية آية، وكانوا يمعنون في الكيد لحامل الريبة، محمد رسول الله، يملأون مكة شكوكا حول الآيات الهائلة كالعبث.

وكان القرآن يطمئنه ويقول له:

﴿لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ بِمَا أُرْوِلُ لَيْلَتُكَ أَرْلُهُ
بِعِلْمِهِ وَالْمَلَكُ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾

[الب، ١٦٦]

وحين كان كيدهم يتراحم حول انقرآن كالسدر المحيطة، كان محمد يفرع وتأخذه الهموم العجيلة خوفا على دلت النور أن يتمكن أعداء الله من إطفائه ولكن القرآن يهدى روعه ويقول في ثقة عزيزة

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ [الأنعام ١٥]

﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الرَّحَمِ ۝ وَالْأَرْضَ ذَاتِ الصَّدْعِ ۝ إِنَّهُ لَقَوْلُ

فَصْلٍ ۝ وَمَا هُوَ بِأَهْرَبٍ﴾ [الطه، ١-١١]

﴿فَدَرِّي وَمَنْ يُكَلِّبُ بِهِمَا نُنَزِّلُ مِنْهُم مِّمَّنْ حَبَشٌ

لَا يَعْلَمُونَ﴾ [القم ١٤]

ويعطيه الله وعدا يجد مرد كلماته في صدره، وتعيء إليه كل سكية

نفسه، ويلهب عنه الروح، وتعيئه المشري حين تنزل عليه هذه الآية

﴿إِنَّا نَحْنُ بَرُّكُمْ أَلَمْ نَكُنْ لَكُمْ خَافِضُونَ﴾ [الحج ١٠]

* * *

الفصل الثاني

عن منهج الدعوة

﴿بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾

محمد بن عبدالله ..

إنسان أمين، صادق، وديع، أوّاب..

في قلبه إيمان يحصص الأئمة وبي عينيه أسى عدت يتوهج كلما
طرفت حو طره حول الصلال الذي يعاينه قومه وعلى حبهته لصارعة
بصر عزم رشيد يحكي تصميم صاحبه على أن يحمل رشده تجاه الحياة كلها
ولأحياء جميع

وإنه ليتلمس إلى الله طريقاً، ويرجو منه موعداً فالله هو الذي
سبّغ فيه الصراط المستقيم . الله هو الذي سيريه الحق الذي يبحث عنه ،
ويُنْبِت على الطريق حُطاه

ويجيئه الهدى وابقين ويدعوه الله ليحمل إلى الناس كدمته ،
ويبلغهم رسالته ، ويستقبل العبء الجليل بعزم المرسلين .

وبين الأنواء الصاعرة من الدهش ، و لعيون المحمّدية من وقع
انفجأة ، وقف ذات يوم يعلن رسالته ويقول وسط الجمع لحاشد من
قومه

﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَيْرٌ﴾ [الاعراب ١٥٨]

وتمضي الأيام كانهدر ، كن ساعة منها تلقى على كاهل الرسول

متعها ومصاعبها، وتذره في نفس الوقت بمتاعب ساعة التي تليها
وسلّطت قريش على انسي ومن سارع إلى الإيمان به أصعبها
وأحقادها المسحقة بكل وسائل التعذيب والأصطهاد

هذا يُعذّب حتى تفيض روحه!!

وداك يعدب وكل أمانيه في الحياة أن تفيض روحه!!

ومحمد تنتطره السحريات في كل طريق، وتتهاوى عليه الحجارة
تدمي وجهه المحب الودود.

ألا يستطيع أن يفضب؟

ألا يستطيع أن يرد ولو على كل مائة لطمّة من حصومه بلطمة واحدة
منه؟

إن له من شرف محتده جها يُهيئه لأن يماتل، ويحفره لأن يجرب قوته
ولو في معركة غير متكفنة معركة يواحه فيها وهو وحيد أعز من محتما
قبليا شحذ ألبابه وجمع كنده!!

إن للطبيعة الشرية مهما يسم بها صفة الجوهر حدود، ولين الجانب
مهما يوطئ أكناف صاحبه فإن له مع الشر موعدا يتحول عنده إلى قصاص
ومباحزة

والناس عادة لا يُسارعون إلى العصب وفي أيديهم أرمّة القوة
والسلطان والعلب، إنما يحتجون إلى العصب بأن ضعفهم ومقاومتهم
ورسول الله، في الأيام التي نزلت عنده فيها هذه الآيات، كان في

حاجة إلى قدر من العصب يحميه ويدبر عنه عوائل التربص والعدوان
 برإيه في ذلك لموقف الذي دثره الوحي حلاله بهذه الآيات، الكريمة
 كان يعيش في دوامة من لأحداث، التي لا تدع مجالاً للحلم، ولا محالاً
 للعفو، ولا محالاً للمهادنة.

وحين تصور أو تتحيل لمشهد الذي تألفت فوق أهوانه هذه الايات
 الباسمة الحافلة بالسكينة والصفح، يرى عجباً أيّ عجب
 فالمشهد هناك في ساحة أحد بالمدينة، حيث فرغ لتوه أعتف قتل دار
 بين لمسلمين والمشركيين، وحيث عانقت أرض المعركة جنث صحباها
 وشهادتها من المؤمنين. جنث سم يتركها أعداؤها سبيمة بل شوهاها
 ومثلوا بها في وحشية داكنة.

ويرى رسول الله ﷺ ومعه أصحابه لبودع إخوانه لذين استشهدوا
 ويحملوهم إلى حيث يدفون، ولكنه لم يجد شيئاً يحمله!! وخذ الجثث
 قد تحولت إلى أشلاء ممزقة

لم يقع المشركون بقتل المسلمين، بل مثلوا بالجثث الصريعة
 شهيدة شر تمثيل!!

ودار بصر الرسول ﷺ بين معالم الكارثة الموقوفة. سعون شهيداً
 من حيار صحبه كنهم قد مثل بهم أنوف مجدوعة وآذان مصلومة
 وأعضاء متورة. . ووسط هؤلاء جمعها أحب الناس إلى رسول الله ﷺ.
 عمه العظيم حمزة. . نفس المشهد. . ونفس المصير!!

وَيَ رَأَطَّقَ الرِّسْوَنَ الْأَمِيْنَ رِفْرَةً مَلْؤَهَا الْأَسَى وَأَدَارَ وَجْهَهُ قَبِيلاً،

وعر على عيبيه وَقَعَ مصابه ، فادت دموعها لتحبب بها قبلا أو كشرا من
المشهد المثير

وأحد المسلمين نيار جارف من الغضب والغيظ ، وصاحوا من فرط
حنقهم على صوت رجل واحد «والله لئن أصاب منهم يوما مثل هذا لنريدن
على صنيعهم ، ولنمنن بهم مثلة لم يعثها أحد من العرب بأحد أبدا»

ورسول الله ﷺ ساكت ، كأنه راض عن وعيدهم وعيظهم بل
ويروى أنه هو أيضا قد وعد جثمان عمه وهو يودعه وباحيه بأن يشار له
ويستقم .

ولكن ، ما يكادون ينتهون من الصلاة على الشهداء ، ولا يكادون
يسرغون من دهم حتى ترون آيات الكريمة العظيمة

﴿أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَرُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ
صَلَّ عَنْ مَسِيرِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٨﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ
فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ
لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٢٩﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِأَلَلِّهِ وَلَا تَحْزَنْ
عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي صِيقِ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّ اللَّهَ
مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [الحج ١٢٨-١٣٠]

ويهيئ الرسول عليه الصلاة والسلام من رُغواء الوحي ، ووجهه يأتق
تحب ضوء المغفرة ، ويقول ، «بل نصبر يا رب» .

ويصغي المسلمون لآيات الله تلامس صدورهم المتمجرة وعيدا
وعيطا ولها . تلامسها هذه الآيات فتحببها ردا وسلاما وصبر وسلوانا
وفيما بعد . حس جاء يوم المتح ودخل لرسول وأصحابه مكة
ظافرين ، وقف أحد الدين بم يسوا بتعدُّ هول فاجعة أحد ، وصاح
لا قريش بعد اليوم . اليوم تستباح مكة فإذا النبي ﷺ يرسل
صوته الشكور قائلا :

«كفوا عن القوم . . اليوم تُعظم الكعبة»

ليس أروع ما في هذه الآيات أنها نزلت على قوم يتمجرون أما
ويعانون هزيمة ويضللون ظلما ؛ لهم فقالت : اعدلوا
وليس أروع ما فيها أنها نزلت على قوم يتوهجون نقمة وغيظا .
ليس ذلك أروع ما للآيات من دلالة ، على الرغم من أنها في هذا
وحده وبها وحده تفوق كل روعة أحده وكل جلال ميسور
إنما أروع ما فيها أنها نقت انمشهد من زمانه ومن مكانه ، وبقلت
رسول والأصحاب ولدعوة إلى لباب جوهرهم الذي لا ينبغي أن يعيب
عهم ، ولا ينبغي أن يذهبوا بعيدا عنه .
والان ، فلننظر . .

هد رسول الله يحوض مع أصحابه معركة اضطره إليها خصوم قساة ،
يريدون أن يُظفموا نور الله .

ولقد انتهت المعركة بهزيمة مزلزلة .

فما الآيات الماسة في تقدير الناس لهذا المقام؟

ما الآيات التي يمكن أن ينتظر المهزومون سماعها ويبين أيديهم أشلاء
إخوتهم المستشهدين؟

لعلهم كانوا يتوقعون آيات تشد فيهم رواد المقاومة وتشير قوى
المجاهدة .

آيات إذا سم تصاعف في أنفسهم اللهم على القصاص فلا أقل من ألا
تدعوهم إلى الصفح والصفح !!

آيات تمجد المعركة التي انتهت ، وقرع الطول للمعركة لمقابلة ،
وتنشر المهر ومين بنصر قريب !!

هذا ما كان يتوقع بروه من آيات فهل حدث؟ أذا لم يحدث
من ذلك شيء

بل جاءت الآيات تذكر الرسول بحقيقته وجوهره ، وحقيقة دعوته
وجوهرها .

جاءت تذكره بعممه الأساسي في هذه الحياة . تذكره بأنه صاحب
دعوة لا قائد حيوش ، بطل رسالة لا بطل حروب ، وكذلك أصحابه الذين
آمنوا معه .

لكن الآيات الكريمة تقول له :

لقد هُزِمْت وأصحابك الهزيمة لمريرة وما في ذلك بأس ، فأنت لم

تُرسل لتحقيق انتصارات عسكرية في جبهات قتال حتى تأتس على هزيمة
بما أرسلت لترد الإنسان إلى الرب، وتدحض الحواجر المصطعبة بين
الخلق والخلق، وتهدي لتي هي أقوم، وتقود النفس البشرية إلى خلاصها
ومجاء

إن مواقفك في جبهات القتال ليست سوى محطات عرصة مرصها
صروحات لا تملك لها دفعا.

أما أنت أولا وأخرا فليست إلا رسولا لست إلا مدكرا وديرا
إذا كنت الآن ترى السلاح شوب في أيدي أعدائك، مثلوما مُهشم
في أيدي أصحابك

إذا كنت الآن تسمع قريشا تدق صوون الفرح، ولأصحابك يرففون
أنيس الهزيمة

إذا كنت الآن ترى إخوانك صرعى، لم تتركهم الكراهية العمياء حث
هاجمة بل أنت لا أن تمثل بها تُرصى حقدما لثيم المسموم

إذا كنت ترى كل هذا فلا تجرع، لأنت لست ظافر بقدر ما تريح من
معارك بل بقدر ما تريح من قلوب !!

لست منتصرا بقدر ما تقتل من خصوم بل بقدر ما تحيي من أنفس،
ونقل ما تهدي من صلال.

من أجل هذا، أنس حديث المعركة ووقع الهزيمة، وتذكر عملك
لرئيسي في هذه الحياة.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل ١٢٥]

أهناك «نسانية» أروع من هذه؟!

حتى وهو في قلب المعركة يتلقى حصدها لا تقول له الآية فاتهم
بأنهم هي أحسن، بل تقول به ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل ١٢٥]
سبحان ربنا لعظيم

وتلك ظاهرة لا أعرف بها نظيراً هي الدلالة على أن محمد ﷺ لم يكن
يصنع رسالته، إنما كان يتلقاها من لدن حكيم خبير.

والقرآن لا يعتد يدعو الرسول إلى «التي هي أحسن»

ولا يعتد يصرب له الأمثال التي تدعم يقينه وروح السلام لديه

فهو يذكره موسى وهارون حين أرسلهما الله إلى فرعون ذي الأوتاد،

فقال لهما سبحانه :

﴿ادْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا نَّيًّا لَّعَنَهُ
بِسَِّدِّكَرٍ أَوْ يَحْشُرُ﴾ [طه ٤٣ ٤٤]

وهو قبل أن يدعوه إلى الأحكام بالحكمة و لموعظه الحسنة يذكره

بإبراهيم خليل الرحمن

﴿إِنِّي أُرْسِلُكَ كَآفَّةً أُمَّةً قَانِياً لِلَّهِ حَيِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنْ
الْمُشْرِكِينَ ﴿٤٦﴾ شَاكِراً لِأَنْعَمِيهِ لَحَبَّةً وَهَدَنُهُ إِلَىٰ
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٧﴾ وَءَنَيْنَهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّمَا فِي

لَا جِرَّةَ لِمَنِ الصَّبِيحِينَ ﴿١٢٢﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٣﴾ [الحج ١٠ - ١٢٣]

والقرآن كذلك يدعو برسول يبي أن يقدم قومه وأمته وأنداس جميعا
هذا السلوك الحاي السر

﴿وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا اُنْثَى هِيَ اَحْسَنُ مِنْ لَشَيْطَانٍ
يَسْرِعُ بَيْنَهُمْ بِالنَّشِيطِ كَاكَ لِلْإِنْسِ عَدُوًّا مُبِينًا ﴿١٢٤﴾
رَبُّكُمْ أَعْلَمُ سَكْمَ إِنْ شَأْ يَرْحَمَكُمْ أَوْ إِنْ شَأْ يُعَذِّبَكُمْ
وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [البقرة ١٢٤ - ١٢٥]

بيد أن هذا السهج يحتاج الى مصابرة شديدة ومثابرة أشد، وهذا يدعو
لقرآن محمدا ﷺ لنصير ونصير

﴿فَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾ [البقرة ١٣٠]
﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَخْرَ عَنِّيهِمْ
وَلَا تَكُ فِي صَبْرِ يَمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [الحج ١٢٧]
﴿وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْلُكُمْ هَجْرًا حَمِيلًا﴾ [المرج ١١]
﴿فَأَصْبِرْ إِنَّكَ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [غافر ٥٥]
﴿فَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِيعْ مَنَّهُمْ، إِنَّهُمْ أَوْ كُفُورًا﴾ [البقرة ٢٤]

ويضرب له، الأمثال أيضا بإحوا به الدين سبقوه على طريق الدعوة
بي الله، والذين استعنوا بالصبر والصلاة

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾ [مريم ٧٥]

﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾

إن القرآن يصوغ من عبارة «التي هي أحسن» مبدأ من نهى وأعظم مبادئ العلاقات الإنسانية في الأسماء والصفات معا

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَكْثَرُ بِعَا

يَصِفُونَ﴾ [الشورى ١٩٦]

﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [سبل ٣٤]

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾

[الأعراف ١٩٩]

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَرُ﴾

[التكوير ٤٦]

﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقَدْ أَسْنَتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمِنْ أَتَّبَعِي وَقُلْ

لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَاللَّذِينَ آمَنُوا أَتَسْتَعْتِفُونَ فَإِنْ أَسْتَمَوْا

فَقَدْ أَهْتَكَدُوا وَإِنْ قَوْلُوا فَإِنَّمَ عَلَيْكَ الْكَلْعُ وَاللَّهُ

بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [الاحزاب ٦١]

والرسول صاحب دعوة، ومُبلِّغ رسالة وهل غير الحوار الأمين

وسيلة للسلاخ وسيل للإقناع؟ إنه لا سلطان له على صفات الناس

﴿لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية ٢٢]

و ليس من حقه بحال أن يُكره لباس على أن يؤمن بيمانه، ويفتحموا
اقتناعه.

﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يوس ٤٩]

ي عليه أن يهتف بكلمة الله، ويحهر بالحق، فمن أنصر فلسفه ومن
عمى فعلها، دون أن يكره أحدا على هجر اقتناعه

ي عليه أن يصون بيمانه وإيمان أصحابه من وطأة الإغراء والهوى،
ويحميه أيضا بكل وسائل الحماية من إرهاب المحصرم وعدوانهم

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنَسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا
يَمْرُغُكَ فِي الْأُمُورِ وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى
مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج ٦٧]

﴿وَرَدَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى
يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُبْسِتْكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ
بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [النساء ٦٨]

﴿إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يَكْفُرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا
تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ﴾ [النساء ٦٩]
﴿وَيَوْمَ جَدَّلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحج ٦٨]

دك هو لمسيح الأمين العادل الذي يرسمه القرآن العظيم لرحلة
الكسفة في عانم الرسالة و لبلاغ حوار قائم على لمسطوق، باحث عن
الحق، راعب في إسلء الخبر

﴿لَا يَكْرَاهُ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ أَرْشَدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة ٢٥٦]

والذي يحطّ على الحقيقة اليوم لن يحطّ عليها عدا ومع الأيدى يراجع الناس أنفسهم ، وتتكشف بهم معالم الطريق ، وتفصل الله فيما ، حنط لعقول فيه

﴿وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ ءَامَنُوا بِأَلْحَىٰ
أُزِيلَتْ بِهِمُوطَايِفَةٌ أَوْ يُوَمِّئُوا فَأَصِيرُوا خِثًىٰ
اللَّهُ يَبَيِّنُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف ٨٧]

وإلى أن ينبلج الفجر ، ويتضح السيل ، فلكل رايه وهذه

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون ٦]

فإذا أسرف الحصوم على أنفسهم ، وقالوا على الله الكذب وهم يعلمون ، وسطوا أيديهم بالسوء والعداوة يصدون عن سبيل الله من أمر وليحمدوا الناس كرها على هجر إيمانهم بالله وبالحق ، فلا بد للحق حينئذ - من أن يحمي نفسه ويمتشق سلاحه

وعندئذ - لا قنط - يرفع القرآن في وجه الناس بأسا مثله ، فيقول

﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُم
وَلَا تَمَتَّدُوا﴾ [البقرة ١٩]

الفصل الثالث

عن البسطاء الكاذبين

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّكَ يَرْكَبُ﴾

﴿عَسَىٰ وَتَوَلَّىٰ ۖ﴾ ١٠٠ ﴿أَن جَاءَهُ الْآخِرَىٰ ۖ﴾ ١٠١ ﴿وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّكَ يَرْكَبُ﴾
 ١٠٢ ﴿أَوْ يَذْكُرُ فَنُفَعَهُ لَنِذْرَةٍ ۖ﴾ ١٠٣ ﴿أَمَّا مِنِّي فَسَمِعْتُ ۖ﴾ ١٠٤ ﴿فَأَن تَمَّ﴾
 ١٠٥ ﴿تَصَدَّقْتُ ۖ﴾ ١٠٦ ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْكَبُ ۖ﴾ ١٠٧ ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۖ﴾ ١٠٨ ﴿وَهُوَ﴾
 ١٠٩ ﴿يَحْسَبُ ۖ﴾ ١١٠ ﴿فَأَن تَعُدَّ لِلَّهِ ۖ﴾ ١١١ ﴿كَلَّا ۖ إِنَّمَا تُذَكِّرُ ۖ﴾ [عس ١ - ١١١]

لم يكن من بين أمانيه - عليه سلام - أن يذهب من الدنيا بما ولا
 شهرة ولا مجد

إنما كان أمانيه أن يكثر عدد الذين يهديهم الله به من الصلال

كان منتهى آماله أن يلقي ربه الكبير في موكب حاشد حافل من الذين
 استجابوا لله وللرسول . الذين استطاع أن يلدوي أرمّة قلوبهم الصالحة ،
 ويكبح حماح شهواتهم لمتهمدة ، ويفر من هي قلوبهم مكاب الشرك توحيد ،
 ومكان الجحود إيماناً ، ومكان الكراهية حب ، ومكان الرئع معرفة وفهما
 وبصيرة

ولقد سلك إلى هذه العاية كل سسل ، فثائر ، وصابر ، ولاين القلوب
 انفسية ، وبدل من ذات نفسه فوق حلم الحالمين وصبر الصابرين
 وكان وهو يدير بصره حول قومه يُرح به الأسى من أحسن أولئك لدين
 تخدمهم أباطيل الحياة ، ويفرهم بالله العرور .

وكان معيًّا بعشيرته ، لأقربين وكان يرى كل قریش ، ثم كل لدس ،
عشيرة له وأهلا .

وكان يعلم أن أكثر العامة يسعون كراءهم ، ومن ثم فقد طالما نعى أن
يهدي الله إلى لإيمان كراء قرش وعليتها

إلهم إن هدوا وأموا جاء الناس على أثرهم سر عاراعين ، ونحوصوا
من عقابيل الشرك والجهالة ، واسطلقوا مع الدين الجديد نحو المصير
العظيمة الواعدة .

وإنه عليه الصلاة والسلام - لجالس ذات يوم مع واحد من سادة
قریش وكبرائها يحدثه عن الإسلام ويحبب إليه الإيمان ، ويكره إليه الكفر ،
ويدعوه إلى عبادة الحي القيوم وإنه بكبير الأمر في أن يرق قلبه ويلين ،
فإذا تم ذلك يكون الله قد هدى رجلا تقتفي آثاره عشرات من الرجال

وإد هو يحدث إليه يقبل عليهما (اس أم مكتوم) واحد من فقراء
المسلمين يتحسس الطريق بعكازته ، فهو مكهوف الصرير صرير
ويقف على رسول الله عليه السلام يسأله بعض أمور اندس ويقول له
أرشدني يا رسول الله

وكانما أحس الرسول أن (اس أم مكتوم) جاء في غير أوانه فإن
نظرة واحدة من (السيد القرشي) إلى هذا المسلم الفقير المتسربل بأسماله
المتواضعة ستحرك في أعماقه البخور من دين ميسوي بينه وبين هذا الأعمى
الفقير ، كما سأنحده العرة بالإثم ، فلا يسي عن اقتصاعه إذا هو قنتع - أمام
واحد من العامة مثل ابن أم مكتوم

ولعل الرسول رأى أن حديثه إلى السيد القرشي كان قد مع اللحظة لحاسمة التي تسلم عنده قوى المقاومة، حيث أقبل ابن أم مكتوم أنشد فقطع تسلس الحديث، وقطع أبص تسلس الشعور الذي كان داخل نفس السيد القرشي والذي كان يتجه في طوعية صوب لفهم و لاقتناع

ولم يكن من أن يعرض الرسول عن ابن أم مكتوم، ويستأنف الحديث مع صاحب الحق فيه، بيد أن إعراضه عليه السلام كان مصحوب بمظاهر الصيق وعدم الارتياح

وهكذا لم يكد المجلس ينتهي حتى كانت الآيات الكريمة تنزل على قلب محمد توضحده على ما صبح، ونذير القصيدة في حوار سريع حاسم، يشعر أن السموات كلها قد شعلت حينئذ بأمر هذا المسكين الفقير الصرير

وعلى الرغم من أن الآيات تحاطب الرسول مباشرة، فإنها تراها تستعمل صبغة الماضي وتوجه الحديث إلى صميم العائت لا إلى صميم محاطب فهي لا تقول عَيْسَتْ وتوليت من تقول عَسْ وتولي

وكأنها تريد بهذا أن تُعس أن بموقف سي وقفه الرسول من من م مكوم ليس من طيعته ولا من شيمته

إبه يلحق بإنسان آخر غير محمد أما هو فلا، وبهذا فإن ذلك الموقف كان دخيلاً على طبيعته وحلقه وشيمته، وبهذا أبص يرى الآيات كأنما تحرد من ذلك الموقف ذاته شخصاً آخر توضحده وتدسه وتقول ﴿عَسَ وَتَوَّى ۝﴾

أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿عس ١٠﴾

لذلك لم يكذب الوحي يسهي من تسجيل مآخذ العنوس والإعراض
مستعملا ضمير العائب حتى عاد ضمير المحاطب وهو يركي جوهر الإيمان
وجوهر الرسالة للكريمة . فتقول الآية الكريمة :

﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُمْ يَرْجَوْنَ ۖ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُمْ

الذِّكْرَىٰ﴾ [عبس ٣ ٤]

لكأن القرآن يقول للرسول

إنما أنت هاد وناذير .

إنما أنت مُزَكِّ ومذكر

وإنك لترفع راية الله وتدعو إلى كلمته .

والله لا يريد أحدا لشرائه ولا لجأه ، إنما يريد من يلقي السمع وهو

شاهد

يريد من يسارع إلى مغفرة من ربه ، ويبين حوائجه قلب سليم

يريد الذين يرون في كلمة الله خلاص أنفسهم وخلاص مصيرهم ،

ويقبلون عليها بروح مُشتاق .

أولئك هم أصفباؤه وأحببؤه .

أولئك جاءك منهم واحد يتعثر في خطاه ، ويبحث عن هداه ، تعرض عنه

وتتولى وتمسح اهتمامك وحرصك «قارونا» من «قواريس» آمال ووجها من

عليه قريش ورعمائها ، جريا وراء قلبه الرائع وأملاني خلاصه المسلوب

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَرْجُوا ۖ وَآمَنَ مِنْ جَاءِكَ بِسَوَاءٍ ۖ وَهُوَ يَخْتَصِمُ

﴿قَاتِبْ عَنْهُ لَهْفًا ۖ وَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ [عسر ٧ ١]

إن هذا الذي جاءك نسبته إليه أشواقه وصراعاته وابتهالاته أحق
بإقبالك عليه وسعيك إليه .

أفقر هو من الماء ، والآحر غني؟

أضعيف هو في قومه ، والآخر قوي؟

لا بأس

وأولئك هم الذين يريدهم الله

المتعبون ، الذين يتدبسون لراحة .

التائهون ، الذين يبحثون عن مرها .

الخائفون ، الذين يبحثون عن مأمّن .

المستضعفون الذين يبحثون عن ملاذ .

الشعث الغبر المدفوعون ، لأنواب .

البسطاء الكادحون المائلون حياتهم بالعمل والعناء

أولئك الذين من أجلهم قيل سواهم - رُفعت «راية الله» في الأرض

لتصلهم تحتها ، ولتعلن قيام عالمهم وبعث أيامهم وزحف صهوفهم

فلا تشغل نفسك بكل عتل مستكر

وأقبل بكل نفسك وكل شغفك وحب على هؤلاء البسطاء المقراء

الودعاء .

إن في داخل أجسامهم تضامرة انوشانة قلربا شامخة مؤمنة ، أعطب

الله موعداً ليجمعها حيث يريد وساعة يدعو، وقابوا

﴿زَبَانًا عَلَيْكَ تَوْكَلَّ وَرَيْكَ أَبْنَا وَرَيْكَ الْمَصِيرُ﴾

[المسح ٤]

تلقى رسول الله من ربه هذا الدرس لأريب العظيم، فلم يعد ندا بأنه بأوشك لعالية الدين كد يرى في هداهم كسما كبيرا لقضية الحق والحيث والالإيمان.

وعاد إلى الصفوف العلمية يصحح كل حرصه وحده وعنايته

ولم يعد يقل عليه (اس أم مكتوم) في أي وقت وفي أي مكان إلا ويحتفي بمقلبيه ويقول: «أهلاً بمن عاتبني فيه ربي»^{١١}

وحقيق الرسول لدرس تماماً لأن القرآن لم يرب يذكره به دائماً

فدأت يوم وهو حاس مع امر من أصحابه الفقراء، فيهم صهيب وبلال وعمار وخباب مر بهم ملأ من قریش فقالوا للرسول

يا محمد أوصيت هؤلاء من يومك؟ أهؤلاء لدين من الله عبيهم من يينا؟ ألا تجعل لهم يوماً ولنا يوماً فإنا نسبحي أن تارا العرب مع هؤلاء لصعفة والعبيد؟!

وحاءت آيات الله كالبرق تحطف أوهمهم، وتقول لسي

﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَىٰ وَالْعَشَىٰ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٥﴾ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا

أَهْتَدُوا مَنَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِرْ يَتِيًّا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ

بِالشَّاكِرِينَ ﴿الأنعام ٥٢-٥٣﴾

ولا يفتأ الوحي يذكره بهذا السلوك ويحصره عليه

﴿وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدْوَةِ
وَالْعِشْيِ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ رِيسَةَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعَ مَنْ أَغْوَى قُلُوبَهُمْ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَنْتَبِعَ
هُونَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ قُرْطًا﴾ [الكهف ٢٨]

ويذكره بأسماء الله، وما شهدته من محاولات ذوي الشراء والباس
ليبعدوا عن نور الله صاده الفقراء، وكيف كانوا يعيرون أسياءهم من سارع
إليهم من المستضعفين.

فقوم روح يقولون له.

﴿وَمَا زِلْنَاكَ أَتَيْتَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِكَ
الزَّأْيِ وَمَا زِلْنَا لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَصِيلٍ﴾ [مرد ٢٧]

وأتى قومه عنه كي يحيي عنه فقراء المؤمنين، فما كان حواءه كما
قص القرآن الكريم إلا أن قال

﴿وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّهُمْ مُلَقُوا رَبَّهُمْ
وَلَكِنِّي أَزِيدُ قَوْمًا يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَن نَّصْرِي
مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [مرد ٢٩-٣٠]

ويمعن القرآن في حصد شركة الصليبين بمكانتهم، المزهوين بجاههم،

المستعجلين بأموالهم ، فيضرب لهم مثلاً يتنوه عليهم ليردجروا ، كما يتنوه على الصعقة من المؤمن ليرددوا مرحاً بما معهم من نعمة الهدى واليقين .
أما بطل ذلك المثل فهو قارون .

﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى فَبَغَى عَلَيْهِمْ
وَوَيْلٌ لِلَّذِينَ مِنَ الْكَافِرِينَ إِنَّ مَقَاصِحَهُمْ سُوءٌ بِانْخِصَابِ
أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْفَرِحِينَ ۖ﴾ وَأَبْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الْذَّارَ الْآجِرَةَ
وَلَا تَلَسْ نَصِيكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا
أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ
لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۖ﴾ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي
أُولَئِكَ يَعْتَمِدُونَ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ
مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ
دُئُوبِهِمُ الْمُخْرَمُونَ ۖ﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ
أَلَيْكَ يَرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بَلَيْتَ لَهَا مِثْلَ مَا
أُولَئِكَ قَتَلُوا إِنَّهُمْ لَكَاؤُ حَطِّ عَظِيمٍ ۖ﴾ وَقَالَ
أَلَيْكَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ
ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلْقِنَهَا إِلَّا الْصَّادِقُونَ ۖ﴾
لَحَسَفًا بِهِ وَيَدَارِهِ الْأَرْضُ فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِتْنَةٍ

يَبْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ آلِهَةٍ وَمَا كَانِ مِنَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٥٦﴾
 وَأَصْحَ لُذِيكَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيَكَذِّبُ
 اللَّهُ بِتَسْطُطِ أَرْزَقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْ لَا
 أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَانَهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ
 ﴿٥٧﴾ تِلْكَ أَلْدَارُ الْأَجْرَةِ لِمَنِ الْعَمَلُ لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي
 الْأَرْضِ وَلَا فُسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ ﴿٥٨﴾ [القمر ٥٦-٥٨]

أكاب القرآن سمونته هذا يمجّد القمر ويتحدّى أشراء؟ كلا، وإنما هو
 يرد الإنسان إلى حوهره وحقيقته، ويرفع قدره فوق كل مواضعات اعرف
 الإنساني حين تضطرب في يد هذا العرف معايير القيم وحقائق الأشياء
 فهي كل رمان ومكان ينظر الناس إلى أهل شراء والحصوة نظرة مدوھا
 التوفير والمهانة، بينما ينظرون إلى أهل الحصاصنة ونهر نظرات تتراوح بين
 الرثاء والارذراء.

والقرآن يواجه هذا الميران المحتل المضطرب بمطلق صارم حاسم
 مطلق يستمد صلابته من إدراكه لحقيقته الإنسان.

هذه الحقيقة المتمثلة في أنه أي الإنسان - حامل مشيئة الله في
 الأرض وهو بحكم كونه «حليفة الله» كما ذكر القرآن في ذات طبيعته في هذا
 تكوّنك تحقيق العرص الحديث، الذي ارتبطت - في صميمه، الأزل أسباب
 وجوده بحتمية تحقيقه

إن السوع الإنساني لم يوجد لتضطرب صفوحه إلى أعبياء وفقراء ولا إلى

سدة وعبيد، ولا إلى أتوبيء وعجرة، ولا إلى رعاء وسوئهم إنما وحد
ليحرك صف واحدا داخل حصوص منكثثة من انقدرة و سيدة و لكهيه .

يرفض أن تُقرّر «شهادات الميلاد» مصاير الناس وتحدد أقدارهم !!

وهو ذا كان يعلم أن الله فصل بعض الناس على بعض في الرزق فإنه
لم يكن يعني أبدا أن هناك ناسا خلَقوا ليُعلَفوا وآخرين خلَقوا ليُنزَفوا !!

لم يكن يعني أبدا أن أقدار الناس في الحياة يحددها عدد الأموال
التي في جيوبهم وحرائلهم، إنما يحددها نصيب كل فرد من الجوهر
الإنساني ذاته .

وما الجوهر الإنساني هذا؟

إنه الحقيقة الحرة التي انتشرت في ملايين الأجيال من البشر تعبر عن
نفسها وتحقق ذاتها

إنه العمل الدائم في صدق وشوق ودمة لتحقيق أخير العام والكمال
العام، وتمكين جميع البشر من أن يصيرو «مواطنين سعداء» في «مدينة لله
الراضية»

ونصيب كل فرد في هذا العمل الجامع، وهذا السعي المشترك وهو
الذي يحدد قدره ومكانه . .

لا الفقر ولا الفنى . لا الصحة ولا المرض

لا الياض ولا السواد . . لا السيطرة ولا التعية .

لا شيء من ذلك كله يحق له أن يتحكم في أقدار الناس وفي

مصايرهم

به العمل وحده العمل انصالح الذي يستمد حصائضه من جوهر
الإنسان وجوهر رسالته .

والفقير الذي يحمل في هد العمل عنه عظيم وزن تعد به فقره
و شري الذي يتحلف ويحدد في الدعة صغير وإن فقر به ثراؤه
فإد تخلف الفقير وتقدم الشري فقد ماء لأول بالإثم ولم يشفع له فقره
وذهب الثاني بالخير ولم يقعد به ثراؤه .
و عمل السيد السبع من أجل حير النفس وحير السوع هو المعيار
الذي يورثه الناس .

﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۖ وَمَنْ

يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزمر ٨٠-٨١]

و (قارون) الذي عرضت آيات السالفة نأه، ثم يصرب مثلاً بنشر
سب ثرائه، بل لأنه يعي على لباس بهذا الثراء، فعنوه وفساده هما السدان
ساقاه إلى مصيره الوخيم، وليس ثراؤه وغناه

من أجل هد حتم القرآن الكريم قصة قارون بهذه الآية البهرة

﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجَمُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي

الْأَرْضِ وَلَا فِسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [النجم ٨٣]

ومن أجل هد أيضا يضرب المثل في القرآن أكثر من مرة، فتقول آياته
الصادقة .

﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْنُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ

زَرَفْنَهُ مَنَّا رَزَقًا حَسَنًا فَهُوَ يُبْقِي مِنْهُ سِرًّا وَحَهْرًا
 هَلْ يَسْتَوِي الْحَمْدُ لِلَّهِ نَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَسْمُونَ ﴿٧٦﴾
 وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ
 عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ
 بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى
 صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٧﴾ [العدل: ٧٥- ٧٦]

والذين يصعون ثروتهم ولدين يصعون طاقتهم في خدمة الحبر العام
 هم المثل الطيب والأعلى في هذه الحياة أما الذين يسبحون من تعاتهم
 تجاه هذا الخير العام فأولئك هم عبيد العجز ومماليك المهنة أثرياء
 كانوا أم فقراء سادة كانوا أم تبع
 ذلك هو معيار التفوق الذي يرسمه القرآن .

وهو حين يقول

﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ﴾ [الأنعام: ١٦٥]

﴿نُظِّرَ كَيْفَ فَصَّلَ تَعَصُّهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٢١]

فتنت أفصية العمل والدرجات التي يتبوأها الناس بما يبدلون من
 جهد شريف لتحقيق أغراض شريفة

وإن القرآن الكريم ليصحح في أفهام الناس معنى التفوق والنبوة

إذ يقول

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَحَمَّخْتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَسْئَلُكُمْ

فِي مَا ءَاتَيْتُكُمْ فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ
جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخَلِّفُونَ ﴿١٤٨﴾ [البقرة: ١٤٨]
أحل .. ﴿فَاسْتَيْقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]

هذا وحده المعراج الذي رفعه القرآن لناس كي يصعدوا عليه إلى كل
كمال ميسور وإلى كل رفعة مأمولة

وهذه وحدها السمة المميزة للدين تؤهلهم جهودهم العادلة لار
يأخذوا مكانهم مع بناء الحياة

من أجل إقرار هذه الحقيقة عاتب الله رسوله حين لوى اهتمامه ذات
مرة - عن مؤمن فقير مؤثرا عليه واحدا من السادة طمع الرسول في إسلامه
وعلى الرغم من صدق النية ونبل المقصد، فإن القرآن لم يرض لهذه
واقعة أن تمر دون أن تكون موضع تساؤل منه ومؤذنة، ودون أن يقرع
عندها الأجراس معلنا حقوق «المواطن العادي» ومقدسا كرامته

ولم يشأ القرآن لهذه الواقعة أن تمر دون أن يسجل في هذه الآيات
وفي آيات أخرى مماثلة، المعاصر السديدة العادلة التي تحدد أقدار الناس
وتجعل التفاصيل بينهم موصول الأساس بهذه المعايير نفسها، لا بما
بو صنعوا عليه من ربح الحياة وغرورها

وعلى الرغم من أن الرسول عليه السلام كان بما فطره الله عليه من
خلق عظيم آخذاً بثلاث المعايير العادلة، وآخذاً مكانه دوماً مع السطء
الفقراء الودعاء - على الرغم من هذا، فإن الله سبحانه وتعالى لم يدع هذه
الهوة تمر دون أن يجعل منها درسا يملأ ربيته لصادق وعني الناس جميعا

عبر الأحقاب والأحيال.

﴿عَسَ رَبُّنَا أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَنَ رَبُّكَ
﴿أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى﴾ ﴿مَا مِنْ آسَافَةٍ﴾ فَأَنْتَ لَمْ
تَصُدِّقْ وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا يَرْكَبُ ﴿وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ وَهُوَ
يَحْشَى ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ ﴿كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ﴾ [عبس ١-١١]

إن انقرآن يريد أن يهدي الناس إلى عالم يقوم الإحباء فيه مكان
السمائر، والحب مكان الكرهية، وانصهر مكان التبرص

عالم يكون الولاء فيه للحق لا للمصلحة، وللدحوهر الباقي لا للأعراس
الزائلة

وإذا كان الإنسان محط الرحاء في حمل كل أمانه جليده من أمانات
الحق والحقية، فيحب أن يتحرر هذا الإنسان من كل ضغط يعوقه
وإذا كان «الإنسان» أو «الإنسانية» هما مجموعة أفراد، فلا بد من أن
يتحرر كل فرد من كل ضغط

ومن شر هذه الضغوط الإحساس بالدونية - إحساس الفرد - أي فرد
بأنه ضئيل وبأنه همل وبأنه شيء غير منظور وغير مذكور

ولهذا لم يكد القرآن يرى فرداً من الأمة يعرض لهذا الموقف حتى
سارع إلى تجديده، ووقف بجانب كرامته وحقه، يدود عنهما في إصرار
وجلال ويرفض أن يسأل مسهما شيء حتى لو كان الثمن هدياً عظيم من
عظماء قريش فعليه إن أسلم دحل أساس على أثره في الدين أو أوحا

ويراجب القرآن هذه الدائرة، ويهتف هتافاً قدسياً لكل حقوق الفرد العادي «وحقوق الناس» «جميع الناس» فيفتح فيهم من روحه عزة وكرامة، ويدعوهم ليهضوا مرفوعي الجباه، ويقول لهم:

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [ال عمران: ١٣٩]

ويذكرهم بأنهم مع الله على موعد دائماً:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَكُمْ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [ال عمران: ٥٢]

ثم يرفع أقدارهم إلى المنتهى فيقول:

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٦٥]

ثم يرفعهم إلى مستوى المسئوبات العمة، ويرفعهم إلى مستوى القيادة، ومع من؟ مع رسول نله الذي اختاره الله واصطفاه فيتلقي الرسول نفسه أمر القرآن ألا يبرم من دون الناس أمراً بل شاورهم ويستفتيهم

﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [ال عمران: ١٥٩]

ويمهد القرآن لهدى الأمر بالشورى تمهيداً تنهى في الحكمة ولروعة فهو يقول:

﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَيِّطَ الْفَقَبُ لَاقْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ

عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [ال عمران: ١٥٩]

تصوروا رسولا ينزل عليه الوحي من ربه، ثم يدعو أبا عادييين فقراء سطاء ويسألهم ما رأيكم؟ ويم تشيرون علي؟ ثم يبرل على رأيهم!!

ألا يرفع هذا السلوك من أقدار الناس أمام أنفسهم؟
 ألا يصححهم ذلك ثقة كاملة بأنهم سادة وبأنهم الأعلى؟
 ألا يدفعهم ذلك إلى الإيمان بأنهم أهل لرسالة جليلة انتي حملوها،
 وبأن مسئوليتهم عن حفظها لا تقل عن مسئولية لرسول الله؟
 بل ولقد مضى لرسول يسي دعوة القرآن ويستشيرهم في كل
 خطوة

استشارهم يوم «بدر» فأجابوه وقد رأوه يفوضهم في تقدير
 الموقف كله

يا رسول الله والله لو خصت به هذا النحر لحصنه معك
 وشاورهم يوم أحد وكان رأيهم ألا يخرج إلى العدو وكان رأي
 المسلمين أن يخرجوا فنزل على رأيهم

وشاورهم يوم الحندق وكان من رأيهم أن يصالح الأحزاب على
 ثلاث ثمار المدينة وعارض رأيهم بعض المسلمين فتحلى عن رأيهم ونزل على
 رأيهم

بل شاور أصحابه في أخص شئونه . فيحدث لإمام (بن كثير) أنه حين
 شاع حديث الإفك وتعرضت أم المؤمنين (عائشة) رضي الله عنها لمؤامرة
 دنيئة أرادت أن تنال من سمعتها الطاهرة أملا في إيداء الرسول وإحراج
 دعا النبي أصحابه وقال لهم :

أشيروا علي معشر المسلمين فوالله ما علمت على أهلي من سوء !!

والقرآن العظيم يكاد يتركنا مهم أنه يعلق على الشورى أكر الآمال في
تحرير الناس من الهوان فهو في آية أخرى من آياته يقرن الشورى بالإيمان
والصلاة، ويجعلها مثل الإيمان ومن الصلاة واجبا على الناس جميعا
وليست فرصة بصموة أو بظانته، فيقول في وصف المؤمنين

﴿وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى

بَيْنَهُمْ﴾ [التورى ٣٨]

فليست الشورى ترفا.

وليست فرص كفية، يوب بعض الناس في أدائه عن بعض

بل وليست مجرد حق يملك أصحابه أن ينازلوا عنه

إنما هي صفة ثابتة نأخذ مكدبها في الآنة إلى حور الصفات الأساسية

للمؤمن، كالإيمان بالله وكالصلاة

بل إن هذا المقطع من لآية، المقطع الذي لا يريد عن كلمات ثلاث

هي ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ﴾ كانت أهميته لدى قرآن بانهة إلى حد أنه سمى

السورة التي تضم هذه الكلمات الثلاث باسم «الشورى»^{١١}

سورة تتظم ثلاثا وخمسين آية، ليس بها عن شورى سوى هذه

الكلمات ثلاث، ثم يعطيها لقرآن سمتها ويحلح عليها سمها

ومغرى آخر به دلالة لكبرى.

فسورة الشورى هذه مكية برت في مكة، وفرص على المسلمين

الشورى وهم يقومون يومئذ في بلد يعج بحصوم أقوياء

وكان القرآن يومئذ معينا ساء «الشخصية المؤمنة» فهو إدر لا يرى في الشورى سبيلا للوصول إلى القرارات الحكيمة التي تتطلبها سلامة الجماعة فحسب، بل ويراه قبل هذا سبيلا أي سبيلا إلى بناء المرء القوي وشحه بكل قوى الثقة والتهلل والإبداع.

على هذا السبق الساهر - بدءا من ﴿عَسَىٰ وَتَوَلَّىٰ﴾ [عسر] إلى ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [العراد ١٥٤] مضى القرآن الكريم يرفع من قدر «المواطن العادي» ويشجعه له عالمه الكبير ويعده لتسلم الرؤية

مضى يبشر بمساراة شاملة صدقة، ليس لها سفظ مناع، ولا رعاية أتياع... مساواة لا غنى فيها، ولا صراوة لها.

ومن بلال وصهيب وحنان وإخوانهم لبسطاء الودعاء أسس القرآن أمة جاءت في أوانها لتصحيح موازين الحياة وتقرم اعوجاجها.

الفصل الرابع

عن اهتماماته الإنسانية

﴿وَلِلَّهِ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمُ﴾

ذات يوم ، وأمير المؤمنين عمر بن الخطاب يجتاز شوارع المدينة
ومعه بعض أصحابه ، سمع صوتاً يناديه من وراءه يا عمر ،
فالتفت عمر فإذا سيدة عجوز تقبل عليه ؛ ولا تكاد تبلمه حتى
تستوقفه قائلة :

رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة .

ويقف أمير المؤمنين أمامها حاشعاً ، وتتحدث إليه فتقول

«يا عمر ، عهدي بك رأيت تُسمى (عميراً) تصارع الفتيان في سوق عكاظ
فلم تذهب الأيام حتى سميت (عمر) ثم لم تذهب الأيام حتى سميت (أمير
المؤمنين) فأتق الله في الرعية ، و علم أنه من حاف الموت حشى الفوت !!
واسرى إليها أحد أصحاب عمر قائلاً لقد اجترب على أمير
المؤمنين

فحدثه عمر من يده وقال له :

«دعها فبك لا تعرفها ، إنها (خولة بنت حكيم) التي سمع الله قولها من
فوق سمواته وهي تجادل الرسول في زوجها وتشتكي إلى الله ، فعمر ونله حري
أن يسمع كلامها !!»

فمن كانت هذه السيدة العجوز التي استوقفت أمير المؤمنين هي

بطريق لتقول له كنت (عميرا) فأصبحت (عمر) وكنت (عمر) فصرت
(أمير المؤمنين)؟!

إنها السيدة التي أفرد القرآن لها سورة أسماها سورة «المحاذلة»

ولكن قبل أن نطالع قصتها ما شأن القرآن بها؟

إن شأنه بها ومعها هو شأنه بمشاكل الناس التي كان يتسببها في يقظه
ودأب ورحمة المشاكل التي كان يتبعها من أكرها إلى أصلها بهتمام
ودود ويرسم على ضوئها مبادئ الشريعة والسلوك .
وسوف نرى كيف أجز القرآن مهمته هذه .

ولبعد إلى لتأ الذي بدأنا به الموضوع «نبا المحاذلة» التي أصبى
إليها أمير المؤمنين في حشوع؛ أن الله من قبل سمع حوارها وشكواها
ذات يرم كان الرسول عليه الصلاة والسلام حادسا في بناء دمه ومعها
زوجته عائشة . حين قدمت عليهم سيدة تصطرب خطها ، رتصطرم
أفامها

إنها حولة بنت حكيم زوجة أوس بن الصامت حري يسها وبين زوجها
بقر محرمها على نفسه قائلا : أنت علي كظهر أمي .

وكان هذا أول ظهار يقع في الإسلام فلم تدر الروجة إن كنت بهذا
الظهار قد طمعت أم هي غير طالق فحمت همها ، وأسرعت إلى رسول الله
قالت :

يا رسول الله زوجي (أوس) أكل مالي وأفنى شبابي ونثر له طمي
حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي ظاهر مي .

فأحياها رسول الله قتلاً . «ما أراك إلا قد حرمت عليه»

وعادت «حولة» محاور الرسول وتقول

إني صنيعة إن صممتهم إليه صاعوا وإن صممتهم إني جاعوا وعاد
الرسول يقول

«ما أراك إلا قد حرمت عليه». وبكت «حولة» وقالت إني الله
أشكو أمري وأمر صبيتي ومصت تبدئ في شكواها وتعيد ورسول الله
سمع صدمتا

وفجأة أحده مثل الرُعُوء وأظلمت السكينة التي كانت تأخذه حين يرسل
القرآن على قلبه فيذهب في استغراق بعيد
وأومات عائشة إلى الروجة أن اصمتي .

وبعد لحظات من لصمت الحكيم حرك الرسول لسانه الصدوق آيات
من القرآن الكريم :

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُحَدِّثُكَ فِي رَوْحِهَا وَنَشَأُكَ
إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ نَصِيرٌ ﴿١﴾
الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ يَسَائِهِمْ مَا هُمْ أَنْهَتُهُمْ
إِنْ أَمَّهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدَتْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُكْرًا
مِنَ الْقَوْلِ وَرُؤُؤًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ
يُظَاهِرُونَ مِنْ يَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبٍ
مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَحَاسَبَ دِيَارُكُمْ تُوعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا

تَعْمَلُونَ خَيْرًا ﴿٢٢﴾ فَمَنْ لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ نَمَاسًا فَمَنْ لَّمْ تَسْتَطِعْ فَأِطْعَاهُ سِتَيْنِ
 مِثْلِكُمَا ذَلِكَ لِتُؤْمُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَبِالْحُدُودِ
 الَّتِي وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَنْذَرْنَاهُ إِذْ
 وَرَسُولُهُ كُنُوزًا كَمَا كُنْتَ أَنْذَرْنَاهُ مِنْ قَبْلِهِمْ وَفَقَدْ قَرَأَ
 ءَايَاتِنَا يَنْتَبِهَةٌ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٢٤﴾ المائدة ٢٤

وحين أتم الرسول تلاوة الآيات أرسل في طلب لروح، فعلاه
 يسعى، وسأله الرسول.

أتجد رقبة تعتقها؟

قل لا

قال الرسول أتستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟

قال الرجل ولا يبعثك بالحق إني إذا لم أكن المرثين والثلاث يكاد

يعشو بصري

سأله الرسول: أتستطيع أن تطعم ستين مسكياً؟

قال لا إلا أن تعي

فأعانه الرسول عليه السلام بثلاثين صاعاً

عندما طهر برجل من راحته قتلاً بها أنت علي كظهر أمي وسم

يكن بهذه الواقعة سابقه في الإسلام، سارع لقراء إلى نيل حكمها

ولقد جاء حكمه راجع لكل من يحاول أن يجترح مثل هذا السوء
 فعروة الرواج عروة وثقى لا يريد الله بها أن تترجع تحت رحمة السروات
 «طارئة»

وإذا كان «العلاق» أنقص للحلال عند الله، فمادام يكون الطاهر وهو
 أشد عثا بالحياة الروحية، وأشد تهديدا بها؟!

لقد جعل القرآن كفارته موجهة حتى يستقيم الأرواح على الوحدة
 وحين يعود إلى جوهر الواقعة التي نحن بصددتها نجد ما ينهر مداد
 حبر فالمرأة لم تكذب بحمل شها وشكروها إلى رسول الله حتى حلف القرآن
 بسجنتها مسجلا كدماته وحكمه في مشهد حائل ثم تترك بين سورة
 لماركة سورة تحمل قصه (البطله) التي أثارت هذا الموقف كله نحو رها
 تلك هي سورة المحادثة

وسوف نجد هذا الاهتمام يتحلى ويساق في كل مناسبة فلا يكاد
 «يسأل سائل» حتى يتنزل القرآن بالحجوب ولا يكاد «يتأمر أمر» حتى يتقدم
 لقراء بالحجوب ولا يكاد «يأمر متأمر» حتى يدهمه انقرا بأصواته الكشمة
 فيكشف حيثه

ومن مشاكل السلوك العابرة، إلى مشاكل المجتمع العامة، كن
 «قرا يتزل دائما وحثيثا بحلوله السديدة

كان أصحاب رسول الله يترحمون حول مجلسه، وإذا سبق أحدهم
 إلى هذا المجلس طاهر مكاب فإنه يفض به ولا يتحلى عنه تحب رطاه أي
 «عتار

فهذه الرقعة الصغيرة التي يشعدها المسلم بقعوده بين يدي الرسول تساوي عنده عرشا بل هي خير وأبقى من كل العروش فكيف يتركها لغيره مهما يكن هذا الغير؟

وذاث يوم قدم جماعة من المدرسين ائدير شهدوا عروة بدر وكانوا بصفتهم هذه موضع رضاء الله وتقدير رسوله قسم يحدوا لهم في محبس الرسول مكانا دانيا فطلوا وقوا حتى شق على رسول الله عليه الصلاة والسلام وقوفهم ولم يتكرر ذلك بعد فإن القرن سرعان ما جاء بقول.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّحُوا فِي الْمَحَلِّسِ فَافْتَحُوا إِنَّهُ لَكُمْ وِرْدًا وَإِلَىٰ نُشْرُوا فَأَنشُرُوا يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعَمَرَ دَرَجَاتٍ ۖ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادة ١]

ويهاجر الرسول إلى المدينة ويؤمر أن يجعل قبلته في الصلاة «بيت المقدس» ويمتش الرسول أمره، طاوبا صدره على حنين متوقد ومشوب إلى «الكعبة» وإنه ليقب وجهه في السماء وكأنه يسطر منها على شوق كلمة تشفى صدره؛ ويقر به حبه كلمة تأدب به أن يتخذ من الكعبة قلة لصلاته وينزل القرآن.

﴿قَدْ رَأَىٰ نَقْلَبَ وَجْهَكَ فِي السَّمَاةِ فَلَوْلَيْسَكَ قِلَّةٌ تَرْضَاهَا قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطَرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ﴾ [البقرة ١٤٤]

وينحد اليهود هذا لتحول مدعاة لتهجم على الرسول وإشاعة

الشكوك والريب وبث الفتنة بين المؤمنين.

ويصرحون ما وهماك أسئلهم الحبيثة بمدى غير محمد قلبه؟

ويسارع نقرآن ليفتح بمطقة المين مكر الماكريين ويقول

﴿سَيَقُولُ الشُّعْبَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قَتْلِهِمْ الَّذِي
كَانُوا عَلَيْهِمْ قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ
إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٣]

ويتساءل المؤمنون في قلق عن مصير إخوانهم الذين ماتوا وهم

يصلون إلى النقلة الأولى فيطمئنه القرآن قائلا

﴿وَمَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يُضِلَّ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ
لَظُهُورٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]

ويسأل برسور أصحابه عن الحمر والميسر فتزل الآيات

﴿قَدْ فِيهَا لَكُمْ كَثِيرٌ مِمَّا تَسْتَفْتُونَ لِلَّذِينَ وَرَثْتُمْهُمَا
أَكْثَرُ مِنْ نَفْسِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]

وبهذه الآية هب القرآن لادهاج لخطوة تالية لم يلبث أوانها أن جاء

هزلة لآية

﴿لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [البقرة: ٢١٩]

وبهذه الآية أيضا اقترب القرآن من كلمته الأخيرة في شأن الحمر

والميسر فما إن حل الميثاق المناسب لهذه الكلمة حتى قالها

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَصْهَابُ

وَالَّذِينَ يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ مُعْجِزُ غَلَّتِمْ
تَفْدِيَهُمْ [المائدة ٩٠]

وكان الرجال الذين يرفعون في أكافهم يتامى يخلصون أموالهم إلى
أموالهم ، فلما نزلت الآية

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا
يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْفُونَ﴾ [البقرة ١٨]

تأثم أولياء اليتامى وعزلوا أموالهم وحدها بل وعزلوا طعامهم
وشرابهم ودهموا في لتحوط مدها بعيدا بسبب المساعف لهم وليتامى
أنفسهم ، فسرع القراء يدهم على الطريق الوسط ، ويأمرهم بالقصد حين
سألوا الرسول .

﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ إِضْلَاحٍ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ
نَحْنُ لَطَوْنَهُمْ فَيَحْزَنُوا وَأَلَّاهُ يَعْلَمُ الْمُنْفِئَ مِنْ
الْمُضْلِجِ﴾ [البقرة ٢٢٠]

وإن لفرآن يبتنع حاجات نفس في ذلك المجتمع الذي يشأ باسمه
وتحت رايته ، ويتنع أسئلته جميعا ، فيجيب عنها

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْإِهْدِ﴾ [البقرة ٨٩]

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ لُتْهِرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة ٢١٧]

﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ﴾ [الأنفال ١]

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ﴾ [البقرة ٢١٥]

﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٤]

وحتى هذه أيضا:

﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

وليس في مشاكل اناس ما هو صغير وما هو خطير ، فامام كل مشكئة ، مهما تكن صثبة ، بتحرك القرآن كل قدراته وكل مسئولياته وإدراكات المشكله واقع حال خاصه ، لم يعالجها داخل هذا الواقع فحسب ، بل يصعها تحت المحهر ، حتى إذا رأى كل مصاعماتها لمحتمة عالجه العلاج الشامل القيم ، وحل من علاجه هذا قدره عاما وشريعة ومهاجا

عاص رجل امراته ذات يوم وأراد أن يكيد بها ويعيظها فقال والله لا أخلقك أبدا ولا أويك أبدا

فسأته الزوجة : وأنى بك هذا ؟

قل أطلقك حتى إذا أوشكت عدتك على المنام راحعتك ، ثم أطلقك . . وهكذا

فشكت لروجة نبي رسول الله واستهر الرسول هذى ربه ، هزل القرآن بهذه القاعدة العامة

﴿الطَّلُقُ مَرَّتَيْنِ فَإِمْسَاكَ يُمَقَّرُ أَوْ شَرِيحُ

بِإِحْسَنِ﴾ [البقرة: ٢٢٩]

ثم أدار القرآن بوره على القصيه كدها فذهب يطمح احياة الروحيه

ويحفظ للمرأة كل حقوقها إذ رأى الروح فرقه فيقول

﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٢٢٩]

﴿فَإِنْ طِبَّنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِمَّا نَفَسَا فَكُلُوهُ هَيْثَا مَرَبَّتَا﴾ [النساء: ٤]

﴿وَلَا تُسِيكُوهُنَّ صِرَارًا لِنَعْنَدُوا وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٢١]

وهذه عظمة ان قرآن حقا فهذا الكتاب الذي يشغل نفسه بأسمى لقيم وأحظر القصايا لا يجد بأس أي بأس في أن يعطي اهتمامه - ونفس الدرجة للمشاكل المعارضة التي قد نسب لبس بعض الألف أو بعض الحيرة

انكتاب الذي يتحدث عن الله، لو حد الأحد، ويتحدث عن المصير، وعن الدور الجليل الحالد الذي اصطفى لإسار لأدائه على هذه الأرض القرآن الذي يتحدث عن هذه القصايا انكسرى لا يستكشف عن إلقاء سمعه لمن ذهبوا يسألون عن المحيض، ثم يشغل نفسه بهذا السؤال، ويسارع بالحواب

﴿قُلْ هُوَ أَذَى فَأَعْرِضُوا إِلَيْهَا فِي الْمَجِيزِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]

ونظره إلى الأشياء معصمة دائما بالجلال والحكمة وهو يبعد إلى الدرب المستشير الذي لا تقع عليه العين وسط الرحام

فهو مثلاً كي لا تصار الطفولة العريضة العصاة بأي خلاف يشأ بين
لوالدين، براه يهرد حفيها في بر صاع بعض آية

﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَى كَامِلَيْنَّ لِمَنْ أَرَادَ
أَنْ يُنْتَمِ الرِّصَاعُ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ يَرْفَعُنَّ وَيَكْنُوْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
لَا تَكْلَفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا لَا تُصَادَّ وَلِدَةٌ يَوْلِيهَا
وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ يَوْلِيهِ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا
فَصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ
أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْرِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ
مَاءَ أَنْيَمَ بِالْمَعْرُوفِ وَأَتَّقُوا اللَّهَ وَأَعْمَلُوا أَنْ اللَّهَ يَمَّا تَعْمَلُونَ
بَصِيرٌ﴾ [البقرة ٢٣٣]

ألا فلسطر مرة أخرى هذه الآية ﴿فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا

وَتَشَاوُرٍ﴾ [البقرة ٢٣٣]

ب، لمصالها يعني، المقطع وفطام الرضيع فس عامين مسألة تشغل
القرآن تماماً كما تشغله قضية التوحيد والإيمان !!

وهو يشترط إذا كان المقطع قبل عامين أو يتم عن تراض من الأبوس
وتشاور حتى يوفر بهذا للرضيع كن حماية ممكنة.

هذه رعاية همة حارقة ولعل كان الرسول الذي يتبرل عليه القرآن يعيها
حيداً من أجل هذا قال عن ولده إبراهيم وهو يبيكه

«إني أبيع ماتي على النّدي وإدله مريضاً في الجنة»

سكان حق الرضيع في السن حو مقدس غير متجدد، وحتى إذا مات

قبل أن يستنكمس أجل رصاعه كد من حقه أن يستكمه في فرصة أحلى وأعلى . في الجنة !!

لقد أعطى القرآن هذه القصص اهتماماً فائقاً، وفي أكثر من سورة وفي آيات كثيرة أخذ يقرر حق الرضيع في الثدي الحنون

واب معرى هذه العداية كم أسلف - يتمثل في أن الكتاب الذي يعطي كل هذا الاهتمام لأمور يبدو أنها خارجة عن موضوعه، هو كتاب كريم جاء بهتف بالهدى ودين حق جاء يؤسس وطناً جديداً للعقل وسروح ولصمير جاء بحتم الرسالات ولأدين بما باله يشعل نفسه بالمرضعات والرُصعاء؟

حين أتأمل هذا المعرى الباهر أحد نفسي أمام جلال فريد وهو كذلك يعني كن انعميه باستمرارات اللاتي عيّ الموت أرواحهن متى تنتهي عدتهن؟ متى يصرن في جُلٍّ من الأرواح إذا أردن؟ ويعسى بالمصنعات بعد رواح، وبالمصنقات من قبل أن تمسوهن ويكف بأس ساحلية عن الأظمال الدير بقمدهم بأوهم حشة الإملاق

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام ١٤٠]

﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ حَسْبَ عَاقِبَةِ النَّاسِ﴾ [الأنعام ١٤١]

وعن السات اللاتي كد يصيهن الواؤد والدم في التراب

﴿وَإِذْ نُسِرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ طَلَّ وَحَهُم مُّسَوِّدًا وَهُوَ
كَبِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَتَوَرَّى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ
أَيُّكُمْ عَلَىٰ هُوٍ أَمْ يَدُسُّ فِي التُّرَابِ إِلَّا سَاءَ مَا
يَحْكُمُونَ﴾ [الحمل ٥٨-٥٩]

وحين يرى القراء العظيم فاشبه الربا تمسوا «والمائدة» المهيطة تفتح
عافية الناس ونهراً حيانهم، يرسل آياته المشرعة

﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ رِبًّا لَا يَقُولُونَ إِلَّا كَمَا يَقُولُ
الَّذِي يَتَحَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا
إِنَّمَا أَلْهَيْتُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّنَا وَآخَلَّ اللَّهُ السَّيِّعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا
فَمَنْ حَاجَّهُ فَوَعِدَةً مِنْ رَبِّهِ فَانْهَىٰ فِيهِ مَا سَلَفَ وَأَمَرَهُ
إِلَىٰ اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾ [البقرة ٢٧٥]

قالوا ﴿إِنَّمَا أَلْهَيْتُ بَيْنَنَا وَبَيْنَ رَبِّنَا﴾ [البقرة ٢٧٥]

حجة داحضة أرادوا بها أن يبرروا جريمة الاعتدال التي يعتدون بها
حياة الناس تحت ضغط العور والوحدة، فيجبههم القرآن بالحكم لحاسم

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ السَّيِّعَ وَحَرَّمَ﴾

ثم يتبع هذه الآية بآيات أخرى

﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُزِيهِ الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٣٥﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ

لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٩﴾ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٨٠﴾ فَإِن
لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتِغُوا فَالْحُكْمُ رُءُوسُ
أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ [النقرہ ۱۷۶ ۱۷۹]

بات رادعة قارعة يصممها لقرآن كل غيرته على الصعفاء، وكل نفمته
على مصاصي السماء

من أجل هذه، لم يكذب المسلمون يروون قرآن الله يحرمه على هذه
الصوره الرهيبة حتى سارعوا إلى سده عنهم، ومن كان منهم يبعث به بس
تحريره وصنع كل ما كان له فيه، وسترده محض ماله لا غير، وحتى رأس
ماله هذا راح يُظهره بفيض من الصدقات والإعناق على المعسرین
كان القرآن يتتبع آلام الناس فيصدها، وجراحاتهم فيصمدها
ومشاكلهم فيقول فيها قولا بديعا

كان كأنما عيه على كل حركة وكأنما أدنه على كل همسة، فلا يكاد
يسمع أيما إلا حفت بالنحدة ولا سؤالا، لا سارع بالحواس، ولا يكاد يرى
عثرة إلا بادرها بالهدى، ولا ظلمة إلا بلمحه بالصياء

كان دائما

﴿يَهْدِي إِلَيْهِ هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ
يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [البقرہ ۹۰]

الفصل الخامس

عن وجهة الدين

﴿أَقِمْوْا لِدِينِ وَلَا تَنفَرُوا فِيهِ﴾

مد بدأ القرآن يتنزل إلى أن أتم حديثه وبلغ حتمه، وهو حريص على
أن يث في وعي الناس أنه يحاط بهم جميعا، ويشد الحير بهم كافة
ولقد دعا الرسول أول ما دعاه إلى أن يندر عشيرته الأقربين
ثم أمره أن يندر أم القرى - مكة وما حولها

ثم دعاه ليحمل مسئولياته تجاه البشر كلهم مذكر إياه أن هد
القرآن الذي يتنزل عليه ليس كتاب قبيلة ولا كتاب أمة إنما هو ﴿ذِكْرٌ
لِّلْعَالَمِينَ﴾ [يوسف ١٠٤]

ولما هال الرسول صحامة العناء ولعله ساءل نفسه كيف سيقبل هذه
الآيات والهدى إلى العالمين، قال له القرآن:

﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَعُ﴾ [الشورى ١٨]

ولقد صدق الله وعده، وحقق القرآن بموعته، فسارت آياته مسير
شمس في كل الدنيا وكل الأجيال
والقرآن الذي جاء ينادي «العالمين» يعلم أن من قبله كُتُب، وديانات،
ورُسُلًا، ومؤمسين

ولم يكن له بد من أن يبدأ دعوته العميقة الشاملة ببيان مكانه من تلك

لكتب والرسالات ومكائنها

ولقد أعدتها واضحة ميسرة أنه ليس بدع من الكتب، وأنه لا يبدأ بها
حديدا لم تعرفه الحياة من قبل، إنما يستأنف الرحلة المباركة التي بدأتها
كتب سابقة وأنبياء سابقون

إن القرآن وإن كان يسح خيوط دعوة جديدة إلا أنه إنما يسمت من
صميم ترشد الأول، وإنما يحمل راية إبراهيم وموسى وعيسى، ويسم
بلسان عربي مبين نفس الحجة البالغة التي صدحت بها من قبل التوراة
والإنجيل.

وهكذا خاطب القرآن الرسول فقال:

﴿مَّا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [ص ٤٣]

نحن الآن أمام عرص من أجل وأسمى الأعراس التي ركنها القرآن
هذه لعرص الجليل لظاهر يتمثل في أبهاك دينا واحدا وليس ثم
أديان شتى.

ألا فنمصر مع هذه السطور من بحث في أناة وإنشاء كبيرين، فهي
سبطاها القرآن الكريم بأعظم محاولاته وأسمائها
إنه يبدأ بالرسول وبالدين أمثوا معه فيؤكد لهم هذه الحقيقة تركز عليها
أبصارهم وبصائرهم:

﴿مَّا يَقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [ص ٤٣]

ويزيد هذا تباه فيقول:

﴿سَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي
أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى
أَنْ أَتِمُّوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [النور ١٣]

ويعلن احرامه وتوقيفه للكتابين اكبرين لدين حملا، رسالة من
قبله التوراة والإنجيل، فيقول

﴿وَقَمَيْتُ عَلَى آثَرِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا
بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَابْنَهُ الْإِسْحَاقَ فِيهِ هُدًى
وَنُورٌ﴾ [آل عمران ٤٦]

ويبارك لمؤمن بعسى وبحسن وصفهم قائلا

﴿وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّعَوْهُ رَأْفَةً
وَرَحْمَةً﴾ [الحديد ٢٧]

ولكي لا تصيح معالم الوحدة الدينية، وتتقطع أواصر ارحم وتقرى
الناصية في كل رسائله والكتب ذهب الفراء يقاوم الدين يحرفون اتوراه
والإنجيل وما أنزل من عند الله . . وبأداهم

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلِيْسُوكَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ
الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران ٧]

ولكنه وهو يقاومهم يحرض على ألا يسلك تجاههم مسوك يريد من
حدة الخلاف ويصيب «وحدة الدين» بأذى فهو يبادر ويعلن أن ليس أهل
الكتاب جميعا ممن ينسبون الحق بالباطل ، ولا ممن يحرفون الكلم عن

مواضعه ، بل إن فيهم لأمر لصادقين

﴿يَتَّبِعُوا سَوَاءً يَنْ أَهْلَ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ
آيَاتِ اللَّهِ ءَاتَاَ الَّذِينَ وَهُمْ تَسْتَحْذُونَ ﴿١١٣﴾ يَوْمُوكَ
بِأَسْوَ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ الْمُنْكَرِ وَهُمْ سُرْعُونَ فِي الْحَدِيثِ وَأُولَئِكَ مِنْ
الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران ١١٣-١١٤]

﴿وَمِنْ قَوْمِ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ
يَعْتَدِلُونَ﴾ [الأنعام ١٥٩]

وحتى أولئك الذين يحرفون الآيات ويتبعون الصعاب والمتاعب أمم
لقرآن من أهل الكتاب ، يوصي القرآن بهم حبراً فيقول

﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ ءَلَا يَأْتِي هِيَ تَحَسُّرُ
إِلَّا الَّذِينَ طَغَوْا مِنْهُمْ وَقُولُوا ءَامَنَّا بِالَّذِي أُرِلَ إِلَيْنَا
وَأُورِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُكُمْ وَنَحْنُ بِهِ
مُسْلِمُونَ﴾ [التكوير ٤٦]

به حريص على أن يقرر «وحدة الدين» ، أولئك الذين آمنوا بكتاب
واتبعوا رسولا ليسوا سوى حوذة أشقاء لكل المؤمنين في كل الأمان والأيام
والأحيال

وهو يوصي المؤمنين أن يقرروا هذه الحقيقة ويهتفوا بها دوماً حتى
حين يجادلون أهل الكتاب عندهم أن يقولوا ﴿ءَامَنَّا بِالَّذِي أُورِلَ إِلَيْنَا

وَأُتِرَ إِلَىٰكُمْ وَرِثَتُهَا وَرِثَتُكُمْ وَجِدُ ﴿١٠٢﴾

وانقرآن يدعو أبناءه إلى اعتناق «وحدة الدين» ويحفل لإيمان بها حرة من صميم العقيدة والإيمان هكذا تفصح الآيات السالفة، وهكذا تفصح هذه الآية

﴿يَأْتِيَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَتَكْتَبِ
الَّذِي نَزَلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْحِكْمِ الَّذِي أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ
وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ
الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [البقرة: ١٣٦]

وهو يصف لمؤمنين بأنهم

﴿يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [البقرة: ٤]

وبعد أن يُرسي قواعد هذه الوحدة هي قلوب المسلمين يذهب إلى أهل الكتابين الكبيرين «توراة والإنجيل» ليُعالج التمرق الذي جبرأه على إيمانهم وبدأ يُقرن فيعبر عجيبة كيف يحتف بدين يتوون كتابا مقدسة، مصدرها جميعا واحد وعابها كلها واحدة

﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْبَصَرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ
الْبَصَرَىٰ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتَّبِعُونَ
الْحِكْمَ﴾ [البقرة: ١٠٣]

ثم يسارع فيسأهم «ماذا يكفرون بمحمد؟»

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [البقرة: ٢١٣]

ولماذا يكفرون بالقرآن وهو مصدق لما معهم من كتب، وداع إلى
حترمه والإيمان بها؟

ولماذا يكفرون بالإسلام إن كانوا مؤمنين؟

إن الإسلام ليس عنواناً على طائفة معيَّنة من الناس؛ بل كل دين
سلام، وإبراهيم أبو الأنبياء جميعاً كان ديه الإسلام وكل دَرِيَّته
مسلمون

فالدِّين كتابهم التوراة، ودين كتابهم الإنجيل، لا مدِّدٌ في تقدير
القرآن أن يكونوا مسلمين، لأن إبراهيم الذي جاء موسى وعيسى ومحمد
على عقبيه وساروا على نهجه كان أول المسلمين

﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا
مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران ٦٧]

﴿وَإِذْ رَفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا
تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [البقرة ١٢٧-١٢٨]
لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُسْلِمَةٌ لَكَ﴾ [البقرة ١٢٧-١٢٨]

فالقرآن إذن لا ينشئ دينا جديداً، إنما يبعث من جديد دين إبراهيم

﴿إِنَّكَ أَقْلَدَ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ الَّذِي اتَّخَذَهُ هَذَا النَّبِيُّ
وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران ٦٨]

وهو يرفع نفس لراية راية التوحيد، ويعيدها إلى مكها لأعلى،
يختار كلمة «الإسلام» لا لتمييزها قومًا من قوم، ولكن لأنها العنصر القديم
تراث إبراهيم

وإبراهيم نفسه أول من سمي «إسلاماً»
ومفهوم كلمة إسلام تتسع لكل مؤمن في كل زمان ،
فالمسلم عند انقراء هو مَنْ

﴿أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
حَنِيفًا﴾ [البقرة ١٢٥]

ولهذا ، فالقرآن في حواره مع أهل الكتاب يعجب ويتساءل لماذا
اختلفوا وتقسّموا إلى «يهود» و«نصارى»
أليسوا جميعاً أبناء إبراهيم؟
وإذن لماذا لا يسبّرون على هدايته؟

لماذا يقاتل بعضهم بعضاً ، وتقول اليهود ليست النصارى على
شيء ، وتقول آل نصارى ليست اليهود على شيء؟!
ولماذا ، وصرىح أهل كتاب يجادلون ويساوتون أهل القرآن وهم
لهم إخوة؟

﴿وَقَالُوا كُفُّوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَتَدَوُّا فَنُ بَلِّ مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة ١٢٥]

ويسألهم القرآن أيضاً لماذا وأنتم أبناء إبراهيم تقاومون السي الذي
جاء يبعث ملأه ويحيي عقيدته؟

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ
مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَأَتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ

حَلِيلًا ﴿السَّاءِ ١٢٥﴾

إن الذين نلذي جاء به موسى ، والذي جاء به عيسى ، والذي جاء به محمد ، هو في حقيقة دين واحد ، ما دم الكل أساء إبراهيم وهذا الدين الذي بدأ إبراهيم ، ثم حمل أمانته أبىء كثيرون في مقدمتهم موسى والمسيح ، يحتتم يوم بمحمد ، ويستكمل موضوعه وبناءه بالقرآن .

﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ السَّاءِ ١٣

وهذه الأجيال تمتدوقة والصفوف الهائلة من لشر الذين تحت راية لدين من إبراهيم إلى محمد إنما هم في حقيقةهم أبناء أمة واحدة ووطن روحي واحد

﴿يَنْ هَدِيهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُون﴾ (الأنبياء: ٩٢)

ولماذا تقطعوا أمرهم بينهم ؟ هكذا يتساءل القرآن وبما يكفرون بما أمر على محمد وهو الحق من ربهم ؟ لماذا يؤمنون بكلمات الله الألى ويجهلون كلمته الأخيرة ؟

هل الإسلام أمر طارئ عليهم ؟ أبداً إنه لم يكن كذلك قط من كان ولا يزال .

﴿قَلَّةٌ أَيْكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّكُمُ الْمُسْلِمِينَ﴾ (الحج: ٧٨)

هل تعصب لنفسه وانطوى عليها ؟ أبداً من اعتبر الإيمان ناقصاً

ومردوداً ما لم يستوعب نقديس جميع الرسل وجميع الكتب وكل المرحلة السابقة من الدين

﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللّٰهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن دُونِهِمْ لَا نَفْرقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]

هل احتص أتباعه دون الآخرين بفضل الله ورحمته؟
في الآيتين التاليتين أحكم جواب

﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ ءَآمَاتُهُمْ قُلْ هَكَأُو رُفَسَاكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ﷻ ﴿لَن يَمُنَّ بِكَ مَن أَشْرَكَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَهُوَ مُجْرِمٌ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٢]

هكذا يضع القرآن هذه المقابلة الفصلية .

بينما يردّد بعض أهل الكتاب يومذاك، من اليهود والنصارى أن رحمة الله خالصة لهم وحدهم، إذا ما قرأ يقول لهم لا، بل هي لكل من يحمل قلنا ويأتي عملاً صالحاً هي لكل من يُسلم وجهه لله وهو محسن

﴿إِنَّ الدِّينَ ءَامَنُوءَ وَالْذِّكْ هَادُوؤَ وَالصَّيْثُونُ وَالنَّصَارَىٰ مِن ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا

خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٩﴾ [مائدة: ٦٩]

هكذا يصرب القرآن مثلاً ليس يشبهه مثل في راحة الأفق وعالمية الدعوة . فهو يقول :

﴿إِنَّ إِلَيْنَا أَلْبَيْنَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩]

وما الإسلام ؟ إنه .

﴿مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥]

﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [آل عمران: ٩٥]

ومن إبراهيم ؟ إنه أبو الأسياء جميعا

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَهْدِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٨١﴾ وَرَكَّبْنَا وَالْجَنَّتَيْنِ وَنَحْنُ وَابِعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٢﴾ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا كُلًّا مَّصَلَّتْ عَلَيْنَا الْغَمَامُ ﴿٨٣﴾ وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ

مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٤﴾ [النجم: ٨١-٨٣-٨٤]

هذا - إذن - كما يقرر لقرآن إبراهيم أبو الأسياء ، قال الله له

﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]

وهو أيضا الرائد الأول والرسول الأول للدين

﴿إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْتُ قَالَ أَسْلَمْتَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾
وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ نَبِيَهُ وَتَعْقُوبَ نَبِيَّ إِذْ أَلَّهَ أَصْطَفَى
لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا لَهُ وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ
شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا
تَعْبُدُونَ مِنِّي فَقَالُوا تَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة ١٣١-١٣٣]

فما دام الدين دين إبراهيم وما دام إبراهيم أبا الأسيء جمعا، وقد
أرحم الله بني كله وب دام أهل الكتب جميعا يُقررون بهذه الحقيقة،
ويرون في إبراهيم عليه السلام الأب والمعلم فمادام إدن لا يسيرون
صفا واحدا تحت راية إبراهيم؟

بهذا المنطق الصادق الأتخذ عرص القرآن قصة «وحدة الدين»، وعلم
محمدًا أن يقول

﴿إِنِّي هَدَيْتِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ
إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ١٦٦]

وأذن بين الناس جميعا قائلا

﴿أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى ١٣]

ولكن إذا كان الدين وحده فقيم إذن كان لأسياء معيدين،
ولرسل الكثيرون؟

إن قرآن يعلمنا أن الناس تحتلف ألسنتهم ومشاكلهم واستعدادهم،
من أمته إلى أمة ومن حيل إلى حيل، وذلك يقتضي أن يكون لهم هداة
بحر حون من نفس البيئة ونفس المصروف.

﴿وَبِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد ٧]

هداة بجلون روح لأمة، يحملون حصائصها ويدركون مشاكلها،
ويتكلمون لسانها

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ،
يُبَيِّنُ لَهُمْ﴾ [إبراهيم ٤]

وهؤلاء الهداة والمرسلون، مهما يتتبعوا ويكثروا فهم لا يتناقصون،
أند بما يركزون جميعاً بأساليب شتى على حقيقة واحدة، هي الحق والغير
هذه الحقيقة التي هتف بها قديماً إبراهيم:

﴿أَبِ اسْتَعْدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [صافات ٣٢]

﴿وَأَعْمَلُوا صَالِحًا﴾ [المؤمنون ٥١]

فالإيمان برسول واحد يقتضي الإيمان بكل المرسلين، والإيمان
بكتاب يقتضي الإيمان بالكتب جميعاً

من أجل ذلك طالب القرآن أتباعه أن يؤمنوا بجميع الرسل ولأسياء
والكتب، ليحققوا بهذا الإيمان «وحددة الدين»

كما صالبا أهل التوراة وأهل الإنجيل أن يؤمنوا بمحمد وبالقرآن،
ليحققوا بهذا الإيمان كذلك «وحدة الدين»

واعتبر القرآن أيُّ نُكُوصٍ عن هذا السبيل نُكُوصٌ عن شرعة إبراهيم
كما قرر أن العصيدة تتعرض للمحطرات الحساسة إذا أُنكر صاحبها رسولا من
الرسول أو كتابا من الكتب.

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ
يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُوا نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ
وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَسْجُدُوا لِلَّذِينَ
سِوَا اللَّهِ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِمًّا ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ
وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ
أُجُورَهُمْ ۖ وَكَانَ اللَّهُ عَظِيمًا رَّحِيمًا﴾ (البقرة ١٥٠-١٥٢)

ولقد أعطى القرآن جميع الأشياء من ولائه وحبه واحترامه عطية مُبِصِّراً
وحياًهم في أنفسهم وفي جهودهم بحيات طيبات.

فعن إبراهيم قال:

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَتْ أُمَّةً﴾ (النحل ١٢٠)

وعن داود قال:

﴿وَعَاقِبَةُ اللَّهِ الْمَلِكُ وَالْحَكِيمُ﴾ (البقرة ٢٥)

وسليمان :

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُورَةَ نَعَمِ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص ٢٠]

وإدريس :

﴿إِنَّمَا كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عِوًى﴾ [مريم ٥٦-٥٧]

وأيوب :

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص ٤٤]

ويونس :

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات ٢٩]

ويوسف :

﴿إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ يوسف ٢٤

ولوط :

﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَةٍ إِنَّمَا مِنَ الْمُصْطَفِينَ﴾ [آل ٧٥]

وموسى :

﴿إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الأعراف ١٢٤]

وهارون :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ تَفْهُقًا وَصِيَّةً وَذِكْرًا
بِالْمُنْقِذِينَ﴾ [الأنبياء ١٠٨]

ونوح

﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِزْرَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]

وركريا

﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدُكَ وَكَرِيًّا﴾ [مريم: ٢]

ويحيى

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَبَيِّنًا مِّنَ الْمَسْلُومِينَ﴾ [آل عمران: ٣٩]

ومريم

﴿يُكْرِمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَدِيكَ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ بَنَاتِ الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٤٢]

وعيسى

﴿سَمِعَهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَحِيَّهُ فِي الْغَيْبِ
وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿١٥﴾ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ
وَكَهْلًا وَمِنَ الْمَسْلُومِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥-٤٦]

﴿وَأَتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٨٧]

جميع الأسياء هود، شعيب، صالح، إدريس، إلياس، جميع
الآسياء عليهم الصلاة والسلام حياتهم القرآن ورفع مشاعلهم علياً

ولكي لا يدع منهم أحدا دون أن يذكره بحفاوة قال بعد أن فصل
أسماءهم تفصيلا .

﴿ مِنْهُمْ مَن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ
عَلَيْكَ ﴾ [عافر ٧٨]

وهو من خلال عرض سيرهم يكشف عن وحده الدعوة والدين لتي
انتظمت جهادهم جميعا فما من نبي منهم ولا رسول إلا كانت أولى كلماته
لقرمه .

﴿ وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ﴾ [الب . ٢٦]

كلهم هتفوا بهذا المبدأ المقدس . .

كلهم بلا استثناء حاءوا ليحرروا الضمير للإنساني من عبوديته الهدية
للأوثان ولأصدم ، وليصبوه بالإله الحق لدي يس كمشه شي*
وهو هو لباب الدين وقاعدته .

بدأ كل رسول بدعوة الناس إلى الله أنر حد الأحد ويسر عمره كله
لإحقاق هذا الحق ثم عن طريق هذا الإيمان وبقوته الي تستقر في نفوس
المؤمنين يواجه كل رسول نقائص قرمه وخطاياهم فيعطهم فيها ويهاهم
عنها ويقدم لأمتة الحلول المسامية لمشاكلها

أم المضمون الحي لكل كتاب وكل دعوة فواحد لا يغير هو لإيمان
بالله والعمل الصالح ، هذا الذي عبر عنه انقرآن في إيجار وشمول :

﴿ قَالُوا رَبَّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا ﴾ [نصت ٣٠]

هذا هو ما يريد أن يضع أسامه ويعلي بناءه هذا هو الجوهر الذي
 نالت مواكب المرسلين لتأدي إليه عقول لاس وأفندتهم
 فكيف إذن يصبر الدين، الذي هو أداة جمع لا تشنيت، ومبيل وحدة
 لا فرقة كيف يصير أو بعبارة أهدى: كيف يصبره السام أداة مُسادة
 وخلاف؟!

إن القرآن يصنع جوهر القصية في مستوى كل بَصير رشيد وإنه يدعو
 البشر إلى صراط مستقيم حين يقول لهم
 ﴿أَقِمُوا الدِّينَ وَلَا تَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [النورى ١٣]

* * *

2

3

الفصل السادس

عن قضية التوحيد

﴿ذَلِكَمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ﴾

من شاء أن يرى القرآن وهو في أروع حالات ترقُّده وتألقه وتحفُّره
وساء قلَّيرُهُ وهو يتحدث عن وحدانية الله وقدرته ورحمته

إن آيات القرآن حين تتحدث عن الله لتسلِّغ قَمَّةَ لاحداه الذي
ولتهوق لمنطقي وتصول الآيات وتجول في ميدان اكتطت أرحه بالأصنام
والأوثان والشركاء والشبهات

وتكاد تسمع للآيات مثل الصَّلْصَلَةِ وهي تُدْمِمْ عني الالهة، زائفة
ولأربب المجلوسين، تكاد ترى الآيات كريمة وكأهلها تُعْدُو، وتفتحم،
وتتواثب، وندهم، وتُنذر، وتُطَوِّق، وتساغت متعقبة أباصيل الشرك
وأكاذيبه، . في كل مكان في كل زمان في كل مُنَاسَة

والقرآن العظيم حين يتحدث عن الله ربما يتحدث عن الله الأحد،
فليس الله عنده إلا واحداً أحداً، وحيث يوحد لتعدد لا يكون ثَمَّت به، ذلك
لأن الله لا يتعدد ولا يتكرر ولا يتغير

﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]

والقرآن في هذا لا يرعم لنفسه أنه أتى بحديد بل هو ينادي في إلحاح
أن تلك دعوة إبراهيم ومثته

﴿إِنَّا إِتْرَاهِيمَ كَاكَ أُمَّةً قَانِتَا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنْ
الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل ١٢٠]

فإصرار القرآن على وحدانية الله ورفضه كل تعدد في ذات الله
إصراره على رفض التشبه والتمثل بالنسبة لله الذي ليس كمثله شيء
إصراره هذا وذاك إنما هو تأكيد للحقيقة الأولى التي جاء بها أبو الأنبياء
والمرسلين (إبراهيم) عليه الصلاة والسلام ثم هو تأكيد لما هف به موسى
وعيسى وكل رسول كريم
ومن ثم يفحص لقرآن في تبين هذه الحقيقة وبقص عليها تجربة أبي
الأنبياء مع حقيقة التوحيد

يجبرنا القرآن كيف ذهب إبراهيم عليه السلام يبحث عن الله حين
أحس من تلقاء نفسه أن هذا الوجود لا يمكن أن يحلو من مدبر مقتدر
حكيم

وكان إحساسا رشيدا لم يمهه إيمان الناس جميعهم بالأصنام من أن
يستحيب للحق الذي كان يلح عليه ليراه

﴿وَلَقَدْ ءَايَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدًا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ
عَالِمِينَ﴾ [الأنبياء ٥١]

رأى إبراهيم أصنام مشيدة وكواكب معودة وأبصر قومه مورعين
بعضهم حاث أمام صنم ياجيه وبعضهم حاث أمام صنم يدعوهم أم أصنام
الأرض التي يسيها الناس بأيديهم ثم يمدونها فقد رفضها في بدهة سريعة
ومضى يقلب وجهه في السماء صارعا إلى الله الحق كي يكشف به

الهدى ويقدر له اليقين

﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكُوكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ
لَأَ أَحِبُّ الْآفِلِينَ ﴿٧٨﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي
فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهِي بِيَوْمِي رَبِّيَ الْأَكْبَرُ ﴿٧٩﴾ لَقَوْمٍ الصَّالِينَ
﴿٨٠﴾ فَمَرَّ رَأَى الشَّمْسَ بَارِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْثَرُ فَمَرَّ
أَفَلَتْ قَالَ يَاقَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٨١﴾ إِنِّي وَجَّهْتُ
وَجْهِيَ لِلدِّينِ فَطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ حَنِيفًا وَمَا
أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام ٧٦-٧٩]

هكذا يجمعنا القرآن الكريم بأبي لأسياء (إبراهيم) وهو بطالع الحقيقة
بعد طون عاء ويعلن أن إلهه وإله الناس واحد فاطر السموات والأرض
ويسبغ لقرآن تجربة أبينا إبراهيم فسقل إليها حوراه مع أبيه ومع قومه
حور قضية لإيمان

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَأْتِ بِتَأْتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ
وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٨٢﴾ يَأْتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ
الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٨٣﴾ يَأْتِ
لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٨٤﴾
يَأْتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ
لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا﴾ [مريم ٤٢-٤٥]

ويجيبه أبوه .

﴿قَالَ أَرْغَبُ أَسْتَ عَنِ الْإِلَهِ يَتَارَهُمْ لَيْسَ لِي تَنَهُ
لَأَرْجُمَنَّكَ وَأَهْجُرِي مَيِّتًا﴾ [مريم ٤٦] .

ويجيبه إبراهيم

﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْقِئُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ
بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْتَرِلَكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا﴾

[مريم ٤٧-٤٨]

ويمضي لقرآن يعرض تجربة إبراهيم ، مسلطا عليها الأصواء في أنوار
شئ ، ليظهر كل بهائها وكل دلالها

والقرآن إذ يُغنى بهدء تحربة الدهرة ، إنما يدعم حقيقة لإيمان
و لتوحيد دُعما وثيقا ويعطي لئس من رائد هذه الحقيقة قدوة تحلُّ عن
الطير في ثباتها وصدقها وررعة تصارها لقد ختال قومه عليه ليفسوه عن
إيمانه فأحققوا ثم لجأوا إلى تحويله وترويعه سفة كهنتهم قاصين عليه
لأساطير نلوا الأساطير متصمة عصب الآله الذي حاو من كمر وعدائهم
لشديد السي دمدوا به على من جحدهم واستكف عن عدوتهم !!

فما كان جواب (إبراهيم) إلا ضلصنة بقيبه وجنجلة بإيمانه وهتاف
عال باسم ربه الأحد الحفيظ الكبير المتعال .

﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ تَتَلَوْنِي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَسَ وَلَا
أُحَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يُشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي

كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَفَىٰ أَحَافًا مَّا
 أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ
 بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ
 كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ
 أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾

ويعرّض القرآن مشهدا آخر ، مشهد ابي قتبه ملكه وعمره حجه ولعده
 كان ملك (ناس) فأراد أن يهتن الخليل عن إيمانه

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ
 الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ
 أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالسَّمَرِ مِنَ
 الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا
 يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ الفقرة ٢٥٩

و القرآن يسوق هذه المحاوره ليُريّا بها كيف كان بر هيم يُفصح عن
 إيمانه بالمنطق .

ذلك لأن الإيمان بالله وجوده ووحدانيته ، ليس معرّا من الأعداء ولا
 أخحية من الأحاجي ، بل هو حقيقة تحد في لعقل وهي لمصطق أداة لتعسر
 عن نفسها ، وإقامة الحجة على صدقها

وعندما سأل (فليك ناسل) سيّ الله إبر هيم برهانيا لم يأت به حارقة من
 الحوارق ، بل توسّل بالمنطق فأجابه برهاسي قصة الحياة والعدم فحيثما

تُفْقَبُ بِصُرْك تَرَى وَجُودًا شَامِحًا وَنَامِيًا، وَتُحَدُّ حَيَاةً مُتَجَدِّدَةً دَائِمَةً مَهْدَةً
الْبَيْضَةَ الَّتِي يَحْرُحُ مِنْهَا دَيْثُ يَصْبِيحُ أَوْ طَائِرُ يَطِيرُ وَفُصْرَتِ الْمَاءِ أَسِي
يَتَشَكَّلُ مِنْهَا، الْإِنْسَانُ الْبَدَنُ وَالْأَنْسَى هُنَّ أَصَابِعُكُمْ هَذِهِ تَصْبَعُ مِنْ ذَلِكَ
شَيْئًا أَوْ تُحَدِّثُ مِنْهُ أَمْرًا؟ كَلَّا . وَلَكِنْ ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُخَيِّئُ وَيُمَيِّتُ﴾ [البقرة،
٢٥٨] وَيُجِيبُهُ لَمَلِكٌ فِي سَحَابٍ عَاجِزَةٍ ﴿أَنَا أُخَيِّئُ وَأُمَيِّتُ﴾ [البقرة، ٢٥٨]

ذلك أنه يتصور تحت وطأة صلبيه وجسروته أنه حين يدعو مثلاً
رجلين قد حُكِمَ عليهما بالإعدام لحرم، فترفع، فيعمو عن أحدهما ويسجر
الحكم في الآخر يتصور أنه لو صرع شيئاً كهذا يكون قد أمدت وأحيات

ويكن إبراهيم عليه السلام يطلع من القنطرة ويهدى ما يرب به عن
مناقشة هذا الحواء فيتخطأ في سهولة إلى برهان حر، وهو أبعد برهان
كربي يستمد حوهره وشكله من معطيات لعقل والحس فيقول ﴿فَإِنَّ
اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ [البقرة ٢٥٨]

في تهكم قاصف مدحوق، وهو في نفس الوقت منطوق واضح وصادق،
أدلى إبراهيم ببرهانه الثاني .

إن هذه الشمس التي تمضي في حركة مقدرة موفووه لا تفعل ذلك
وحده بل إن لها رباً يمسكها ويهديها فمرها أن تقف أو غير - إذا كنت بها
- مدارها ومسيرها وحركتها

ثم يقول لقرآن في حُجُور ونهدس ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾ [البقرة ٢٥٨]
ويقلنا القرآن إلى مشهد، حُرَّتْ لِي فِيهِ الْحُجَّةُ الْمَالِعَةُ دَاحِصُهُ أَوْهَامُ
الشُّرْكِ وَأَبَاطِيلُ الْمُشْرِكِينَ :

﴿وَأَتْلُ عَنَيْهِمْ نَأْ إِرْهِيمَ ۖ إِذْ قَالَ لِأَيِّهِ وَقَوْمِهِ مَا
تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّهَا عَنَكُمِينَ ۖ قَالَ
هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ وَ يَضُرُّونَ ۖ^(٧٢)
قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ۖ^(٧٣) قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا
كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ۖ^(٧٤) أَشَرٌّ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ۖ^(٧٥) فَإِنَّهُمْ
عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ۖ^(٧٦) أَلَيْسَ خَلْقِي فَهُوَ يَهْدِي ۖ^(٧٧)
وَأَلَيْسَ هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِي ۖ^(٧٨) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ
يَشْفِينِي ۖ^(٧٩) وَأَلَيْسَ يُعِثُّ لِي نَجَاتٍ ۖ^(٨٠) وَأَلَيْسَ
أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ۖ^(٨١) السورة ٩ ٨٢

إنه يتحد من مظاهر الخلق دلبه إلى انحناء، وهو في هذا حذر
يركز على دحض هذه الأصنام وكشف زيفها هو يريد أن يسرع من صدور
قومه كل إيمان بهذه الأصنام وكل ولاء واحترام لها، فإذ ما تم به ذلك
وخرج الإيمان بها من لقلوب رحل مكانه فراع نظيف، قدم هو لإيمان
الحق الذي يملأ هذا الفراغ

هذه هي الخطة التي قصي إبراهيم في انتهاجها عمرا طويلا، وإن كان
الفرآن يحملها في مشهد وجير فيرين أرا لا بقده للأصنام تمهيدا
لبشكيك فيها وطردها من قلوب عبيده ﴿هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ أَوْ
يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ (الشعراء ٧٢-٧٣) ٩

نإذا كانوا لا يسمعون مجرد سمع، ولا يطلقون مجرد نطق، وإذا كانوا

لا يملكون لكم بن ولا أنفسهم بمعاً ولا صراً، فأبي مسطى وبأي عقر
تحررون لها سحداً، ولا تعدون الله بحق الذي خلقكم وما تعلمون، والذي
يطعم ويسقي ويميت ويحيي ويهدي ويشقي؟

﴿مَا هَذِهِ اسْمَائِيلُ بَنِي إِسْمَ هَ عَنكَوَدَ ﴿٥٦﴾ قَالُوا
وَحَدَّثَنَا إِسْمَاءُ هَ عِيدِيكَ ﴿٥٧﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَشْهَرُ
وَأَبَاؤُكُمْ فِي صَالِحِ مُبِيرِ ﴿٥٨﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ أَمْ أَنْتَ
مِنَ اللَّعِينِ ﴿٥٩﴾ قَالَ نَزَّكَرُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي
فَطَرَهُمْ وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ مِمَّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٦٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ
لَأَكِيدَنَّ أَصْنَعَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُولُؤْ مُدِيرِينَ ﴿٦١﴾﴾ الآية ٥٢-٥٧

بعد حاءات الساعة الفصلة، حيث ردمت نفس إبراهيم بالملفت
سهد الهوان الذي يتمرع فيه قومه وهم لا يرعوون أناس معهم عقولهم
ومعهم حو سهم، ثم يحملون القرايين و لأطعمة إلى حجرة مسجونة ١١

عجبا ألا سألوا أنفسهم، ماد متصبع بها لأصام؟ ثم هم بعدوهم
ويرحون معها ويحافون عداها، فمتى قدمت لإنسان بما أو ألحقت بأحد
صُر؟

أيمكن أن يكون هؤلاء الناس في تقديسهم لهذه الأوثان يصدرون عن
عقل؟ أبداً إنما هم يصدرون عن خوف

فإذا رأوا أصنامهم هذه تتحطم وتنهشم ثم لا يستطيع حتى حماية
نفسها، زالت عنهم المخاوف التي تقودهم إلى عبادتها وهكذا يتحد

إبراهيم قراره .

ويعرض القرآن علينا هذا المشهد في حماس وحركة، حتى نكاد نحس كأنه هناك، مع إبراهيم خطوة خطوة وحلجه حلجة وهمسة همسة بل كأنه هناك يحضه ويحرضه، ويهتف به وبهليل به

﴿إِذْ حَآءَ رَبُّهُ يَتَّبِعُ سَلِيمٌ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَتَقُولُونَ لِلَّهِ مَا لَا رُبُّهُ دُونَ اللَّهِ نَبِّدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُمْ يَرْبِّ الْأَعْلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَطَرَ بَطْرَةً فِي الثُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَأَى إِلَى آلِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَعَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَرْفُودَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا اتُّوْا لَمْ يَنْبَأْنَا فَاَلْقُوهُ فِي الْخَبِيرِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِي ﴿٩٩﴾ الصافات ٨٤-٩٩

أجل ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيِّدِي﴾ الصافات ٩٩

ويحكى القرآن انتصار سيد إبراهيم، الذي أوجاه الله من محاولات أعدائه، ثم سار في الأرض مُهاجراً ومدنّراً

والقرآن يد بفيض في تبيين هذا السأ لما يعرض كما قبلنا قصة الإيعاز بآله ويوحد بيته في نقطة مدتها وانطلاقها في فجرها البعيد، حيث كان ثمت

مؤمن واحد وسط أقوام مشركين وشييين .

وكان القرآن يطرح هذا السؤال . ماذا كان المصير ؟

أما الذين قصو أيامهم جانين أمام أرثاسهم وأصنامهم فقد ذهبوا مع الأوثان نددا وخلّفوا هباء .

أما ذلك المؤمن الواحد، فقد أخرج الله من صلبه أنبياء بررة، حملوا الراية وتوارثوا المشعل .

فكان إسماعيل ، وإسحاق ، ويعقوب

وكان يحيى وشعيا .

وكان موسى

وعيسى ومحمد

وكان هدى ملأ الأرض ، ورحمة أدركت الناس

هذا هو نطل الإيمان إدا ، ورائد قافته عبر الرماح انطويل

هذا هو الذي حياه القرآن في ختم حديثه المفبص عنه فقال ﴿سَلِّمْ

عَلَيْكَ إِذْزَهيمَ﴾ المانات ١٠٩

وهذا هو الأب والمعلم الذي لم يرل القرآن دائما يذكر به رسول الله

محمد، ويدعوه إلى متابعته ويأديه دائما

﴿أَبِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِذْزَهيمَ حَسِيْفٌ وَمَا كَانَ مِنَ

الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل ١٢٣]

﴿قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيكَا قِيَمًا مِلَّةَ

إِذْ هَدَيْنَاهُمْ حَبِيمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ [الأنعام ١٦١]

هذا هو رائد الإيمان الذي كانت حياته ، وكانت دعوته ورسالته

﴿اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ﴾ [المنكوت ١٦]

ثم يل بقرآن قصته بتسدية ، ولكن لبركي بها قضية الوحدانية والإيمان من أجل هذا قال وهو محتتم أحد مشاهد لفصة

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [السكر ٢٤]

وقال وهو يهدي الناس إلى حقيقة الإيمان وطريقه .

﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ

مَعَهُ﴾ [المنحة ٤]

ومن أجل شرح قصة الإيمان بالله ، ومن أجل شجذ الولاء لها والافتناع بها ، يحكي بقرآن قصة موسى ، يداداه ربه

﴿إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ

لِيَذْكُرَنِ﴾ [١٤ ١٤]

وإد أمره أن يواحه (فرعون) بآياته ، مُسلِّحًا بربمانه ، مزودًا ببقية

﴿أَذْهَبَ أَتَ وَأَخُوكَ بِمَا أَتَيْتَنِي وَلَا يُبَيِّنُ فِي ذِكْرِي﴾ ① أَدْهَبَ إِلَى

فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَعَنَ ② فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَنَّكَ كَرُّتَ أَوْ يَحْشَى ③

قَالَ رَبِّمَا إِنَّمَا خَفَ أَن يَفْطُرَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْعَنَ ④ قَالَ لَا تُخَفَا

إِنِّي مَعَكُمْ ⑤ أَسْمَعْ وَأَرَى ⑥﴾ [٤٦ ٤٦]

وعند هذا المشهد يصف القرآن بالمتؤمنين به وقفةً دافعة، ولإيمان بالله
يُمتَحَنُ في هذا المقام امتحاناً ظاهراً

والرسول الذي يحمل هذا الإيمان في قلبه، دون أن يكون معه شيء
من وسائل القوة والحول، يُواجه «فرعون» بكر بأسه وقوته
والرسول تتحرك فيه طبيعة الشر فيحاف من هذه المواجهة، ويُحاذر
عقباها، وهو يساجي ربه ويبتثي صغفه وحوقه، فمادام يملك هو وأخوه من
أسباب التوقّي ولحاة؟ ولكن الله يأمره أن يتقدم أو يست وأحوك مؤمنين
بي؟ إذن

﴿لَا خَافَ إِنِّي مَعَكُمْ أَتَمَّ وَرَى﴾ [٤٦]

﴿فَادْهَبَا بِثَانِيَتَايَا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء: ١٥]

وبصر الحجاج الذي دار بين إر هيم وملك دبل يدور هنا بين
موسى وفرعون

﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [٢٦] قَالَ رَبِّ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ مُوقِنِينَ [٢٧] قَالَ لِيَسَّ حَوْلَهُ أَلَا

تَسْمَعُونَ [٢٨] قَالَ رَبِّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ [٢٩] قَالَ إِنَّ

رَسُولَكُمْ الْبَرُّ أَرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَحُونٌ [٣٠] قَالَ رَبِّ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ [الشعراء: ٢٣-٢٨]

ويتابع القرآن مشاهد القصة مشهداً مشهداً، عارضاً المحر التي
يتعرض لها الإيمان، وانماورات لمهظة التي تقتضيه البصر، لطوي،

والعزم لحليل .

فيمر من ثبات الإيمان في مؤد موسى وهارون حين يواجهان سطح فرعون وعدائه ثم ثبات لإيمان في قلوب السحرة حين بدأوا جودتهم مع لتوحيد قائلين ، ﴿يَعْرِفُ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ﴾ [الشعراء ٤٤]

ثم أتوا على نهايتها ساحلهم ، لله كافر بن فرعون ، وصالح من فرحتهم بالإيمان الذي ألفه الله على أمثلتهم .

﴿إِنَّمَا يَرْبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يوسف ١٧] ﴿يَا مُوسَى وَهَارُونَ﴾ [الشعراء ٤٧-٨٠]

ثم ثبات الإيمان حين جلس موسى وأخوه يتلقيا الكيد من قومهما من بني إسرائيل الذين أنجاهم الله من السلاء الميسر ، مما شكروه ، وما حمضوا الإيمان الذي كان سبب نجاتهم ومؤثر حياتهم ، من مكثوا وصلوا ودهوا يمكرون بمنقذهم ورسولهم .

﴿فَأْتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَتَكَبَّرُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا
يَمُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ
تَجْهَلُونَ﴾ [١٢٥] ﴿إِنْ هَؤُلَاءِ مَثَرٌ مِّمَّا هُمْ فِيهِ وَيَصِلُ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ﴾ [١٢٦] ﴿فَإِنِ اعْبَرِ اللَّهُ أَبْصِيحَكُم إِيَّاهَا وَهُوَ
فَصَلِّحَكُم عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف ١٣٨-١٤٠]

﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنْ قَدِيرٍ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجَلًا
جَسَدًا لَهُمْ خُورٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُمْ لَا يَكْلُمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ
سَبِيلًا أَتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ﴾ [١٢٧] ﴿وَلَمَّا سَقَطَ

فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ صَلُّوا قُلُوبًا لِّئِنْ لَّمْ
يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَكُنَّا مِنَ الْخَاسِرِينَ
﴿١٣٩﴾ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبًا أَيْفًا قَالَ يَلُوكُمُ
مَلَائِكَةُ مِنۡ بَعْدِي فَأَعِظُوكُم بِرَبِّكُمْ وَأَلْقُوا الْأَلْوَابَ
وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَحْمَرُّ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ
اسْتَضَعُّوكُمۡ وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْعِزُكُمُ الْأَعْدَاءُ
وَلَا تُجْعَلُنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي
وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ
الرَّاحِمِينَ ﴿١٤١﴾ [الأعراف ٤٨ - ٥٠]

ثم يؤكد القرآن عظمة الإيمان واستعباده فبرّد الآية التي أعلن بها
موسى النبي استحقاقه بمؤامرات قومه ومكرهم .

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنْتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا
فَإِنَّكَ اللَّهُ لَغَنِيٌّ جَمِيدٌ﴾ [البرسم ٨]

ثم يحيي القرآن الإيمان لوثيق في بصل موسى وهارون ، كما حياه
من قبل في تجربة إبراهيم فيقول

﴿سَلِّمْ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ﴾ [١٤٢] ﴿إِنَّا كُنَّا نَمْنَرُ
الْمُتَحَسِّرِينَ﴾ [١٤٣] ﴿إِنَّهُمْ مِّنۡ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الصافات ٢٠ - ٢٢]

ويتنقل القرآن إلى تجربة الإيمان مع المسيح

ويجمعها هذه التحربة انكرى من أوسى سجلاتها من قبل أن يشهدها
المسيح ذاته !!

أجل . . مند قالت أمه وهو لا يزال في بطن الغيب .
﴿أَنْ يَكُونُ لِي غَنَمٌ وَلَمْ يَمَسْسَنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ نَعِيًّا﴾ قَالَ
كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْئٍ وَلِيَخَصَلَهُ ءَايَةٌ لِلنَّاسِ وَرَحْمَةٌ مِنَّا
وَكَانَ أَمْرٌ مَّقْصِيًّا ﴿[مريم ٢٠-٢١]

فالتقرآن يرى في حياة المسيح كلها من ناديتها إلى منتهاه برهاها وثيقا
من ألمع وأصدق براهين الإيمان بالله

﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُ مِنْ
تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [ال عمران ٥٩]
﴿وَجَعَلَ ابْنَ مَرْيَمَ ءَامَةً ءَايَةً وَءَاوَيْسَهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ
فَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون ٥٠]

كما أن موضوع هذه الحياة، وهتافها العالي، ومسعاها الدائب، كد
حول الإيمان بالله .

فبين الدين أسماهم المسيح «المخرب الضال» وقف يزجر دعاة كفر
والعصيان

ووسط انذير كانت «روما» تصدر إليهم عبادة قيصر وقف المسيح
يعلن بكل قوة وهزم أنه لا إله إلا الله

ويتتبع القرآن كلماته وعظاته فيعلمها إليها موكبا بها قضية الإيمان

﴿وَحِشُّكُمْ بِقَابِئِهِ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَنْقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ۝﴾

إِنَّ اللَّهَ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ فَأَعِدُّوا هَذَا صِرَاطًا

مُسْتَقِيمًا ﴿إِل عبران ٥٠-٥١﴾

إنها نفس الآيات التي ردها وردها من قبل إبراهيم وموسى ورث
صانع من الأنبياء والمرسلين ﴿اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّكُمْ﴾ [إد عبر ٥١]

وحين يرى لقراء قضية «الوحدانية» تتعرض للحصر بين أتباع المسيح
نفسه، يتقدم حاملا مسئولية لقاء عقيدة يرى أنها تحت وطأة العلو في
التقديس قد خرجت عن طريق

﴿يَتَأَهَّلَ الْكِتَابُ لَا تَعْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا

تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ

مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَيْفَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ

مِنْهُ فَتَأَمَّنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ اسْتَهْوَا حَيْرًا

لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ

وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ

وَكَفِيلًا ﴿إِلساء ١٧١﴾

والقراء بعدم أن عقيدة الثلاث إنما أزعجتها الرعية المغالية في تكريم
المسيح وتقديسه من أجل هذا يقرر أن وضع المسيح في مكانه من الله،
باعتباره رسول الله وعنده وكلمته، لا ينفص من قدره شيئا

أو لم يكن إبراهيم نفسه عبدا من عباد الله ورسولا من رسله؟

وموسى لدي جاء المسيح ليكمل بامومه ، ألم يكن كذلك لا غير ؟
وهكذا يقول القرآن عن المسيح :

﴿لَرِيسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الب. ١٧٢]

ويقل القراء القصية إلى مستوى أعلى فياقتضها مع المسيح نفسه
حلال حور دار بين الله والمسيح أو تعبير أصح ، حلال دفع دراهمه
المسيح عن نفسه مسئوليته عن عقيدة لتليث

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مَا أَتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ
اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَنَكَ مَا
يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ
عِلِمْتُمْ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ
أَنْتَ عِلْمُ الْغُيُوبِ ﴿١١٣﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ
اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ
فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى
كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٤﴾ إِنْ تَعَذَّلْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَعَفَّرْ
لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٥﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَفْعَلُ
الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ ﴿[المائدة. ١١٦-١١٩]

إذن فالمسيح قد جاء هذه الحياة ليأخذ دوره بين الدين اصطفاهاهم
الله كي يعلنوا إلهيته ووحديته، ويدعوا الناس إلى الصراط المستقيم

﴿صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَمْ يَلَمَّْا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ﴾ [الشورى ٥٣]

والقرآن إذ يذيقنا أضواءه على الرؤية الموثقة التي رفعها المسيح مبادئاً
بالله الواحد الأحد، إنما يفعل ليؤكد الحقيقة التي دأب الالهتاف بها، ألا
وهي أنه إنما جاء ليثبت العقيدة الممارسة التي نادى بها إبراهيم وموسى
وعيسى، وجميع المرسلين.

فهذه العقيدة هي الدين، كل الدين، وقديماً أوصى إبراهيم بيه فقال

﴿يَنْبَغِي إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ لَكُمْ الدِّينَ﴾ [البقرة ١٣٢]

وسمى التوحيد إسلاماً، وأسمى الدين إسلاماً، فأبهى وصيت
السلفه قائلاً:

﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة ٢٢]

هكذا عرض القرآن قصة الإيمان والوحدانية، إذ يرفع إبراهيم قواعده
ولواءها، وإذ يرفعها كذلك إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأساط، ويرفعها
موسى وعيسى، ويرفعها حاتم المرسلين محمد.

وهو بهذا العرض وخلال ذكر أهل الكتاب بهذه الحقيقة، يناقشهم
حولها مناقشة يرجو أن يعيد بها عقيدتهم نور (إبراهيم) ورئيس صدقه وبص
هداه.

والقرآن يدير هذا الحوار المجيد حول قصة التوحيد مع أهل الكتاب،

بعد أن أدركه من قبل وعسى بطان واسع مع المشركين الذين اتخذوا من الأصنام آلهة يعددون، فيبين الرّاعيل لأوون من آياته بزلت تلك لآيات الهاتمة بالإله الواحد الأحد، والتي قدمت في منطق كاسح وثيقة قريش، وأدافت أصنامها من سخريتها اللافة وحجاجها المدمدم

ولقد وصع القرآن فوق كاهل محمد رسول الله عليه لصلاة والسلام هذه الأمانة الكبرى منذ بدأ يُحاطبه ويتّزل عليه:

﴿يَا أَيُّهَا الْمُنَذِّرُ ﴿١﴾ قُرْ فَأَيُّ ذُرِّ ﴿٢﴾ وَرَبِّكَ لَكَبِيرٌ ﴿٣﴾ وَبَشَاءَكَ

فَطَهَّرَ ﴿٤﴾ [المذثر ١٠-٣]

إن القرآن يدعو أن يهتف باسم الله وحده ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِيرٌ﴾ [المذثر ٢] أحل «ربك» لا أرباب قريش ولا آلهتها التي سحتوها من الحجارة بأيديهم، أو سحتها لهم آباؤهم الأقدمون.

إن كل ولاء وطاعة إن كل موقير ومقدّس من يكون إلا لله ربك، وربّ هؤلاء الحيارى التائهين وربّ الناس جميعا فلا تدع مع الله أحدا.

﴿وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَسَتُنَزَّلْ إِلَيْهِ تَنْبِيلًا ﴿١﴾ رَبُّ الْمَشْرِقِ

وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المرسل ٨-٩]

وتتوالى الآيات في سرعة الضوء وتبياه

وتتمم قريش أوون الأمر، وتكتفي بالسحر به، تسري بها عن مصها الخرعة، وتعالب بها محاورها النامية فيذهب نمر من وجهائها إلى الرسول ويقولون له: يا محمد انست لاربك !!

إنهم لا يتصورون إنها غير «أشرة» ١١ وهم يصلون لرسول ما دام -
قد اتحد إليها عبر آلهتهم بأدبهم على سبب ربّه من أبوه؟ ومن
عائلته؟ ١٢ ويجيبهم القرآن في هدوء:

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَكَ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝
لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص ١-٤]

ويدهشون ثم يعودون لسحرية جديدة، نطلها هذه المرة (أبي س
حلف) جاء إلى رسول الله عليه السلام ممسكا بيده قطعة من عظام نالقة،
وصعها في كفه ثم أحدا يستحقها بأصابعه، ويدزوه في الهواء ويقول
للرسول: أترغم أن ربك سيث هذه مرة أخرى؟

ويتقدم القرآن بإجابته الساحرة القهرة:

﴿وَصَرَبَ لَكَ مَثَلًا وَبَيَّنَّا حَقَّ قَوْلِكَ أَنَّ يَحْيَىٰ الْأَعْظَمَ
وَهُوَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ
وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس ٧٨، ٧٩]

أجل إن القوة التي حققت الإنسان من العدم قادره على أن تعيده

﴿وَهُوَ الَّذِي يَدْعُوا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُمْ وَهُوَ أَهْوَنُ
عِندَهُ﴾ [الروم ٢٧٠]

﴿قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَٰئِهِ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ
وَلَمْ تَكُن شَيْئًا﴾ [مريم ٩]

﴿مَا خَلَقُكُمْ وَلَا بَعَثُكُمْ وَلَا كَفَيْتُمْ وَاجِدَةً﴾ [العمان ٢٨]

ثم يصرب لهم مثلاً يجعل الأمر اندي يستكفون عن تصديقه
ويسعدون تحقيقه بديهته من الدلائل المُنسَلِمة، فيقول متحدث عن الله
سبحانه

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا
الْأَنْهَارَ أَثَرَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ أَلْدَى أَحْيَاهَا لَمَخِي الْمَوْتِ يَنْفُ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصل ٣٩]

وينمو في صدر قريش الحق والصيق، فيذهب إلى أبي طالب عم
السي وعد من رجاله يتقدمهم أوس جهل بن هشام، والعاص بن وائل،
والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يعوث، ويدعون على أبي طالب،
ويقولون له:

أنت كبيرنا وسيّدنا فأنصفنا من ابن أخيك... مُره أن يكف عن
شتم آلها!!

ويرسل أبو طالب إلى ابن أخيه مَنْ بدعوه إليه
ويحيي لرسول، ويسمع مقالة قريش لعنه فيقول لأعصاء وفده
هؤلاء

«أرايتم لو دعوتكم إلى كلمة هي خير لكم مما تجمعون؟»
ويقول أبو جهل هاتها
ويقول لرسول: «تقولون لا إله إلا الله»، وتنفزع رحالات قريش
ويعلو عواؤها، ويقولون:

﴿سَجَرَ كَذَابٌ ۖ أَحْمَلُ الْأَلَمَةَ إِلَٰهًا وَجِدًّا ۖ هَٰذَا

لَشَقَّةٌ عَاجِبَةٌ ﴿[مر ٤-٥]

يُبادي القرآن الرسول فائلا

﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا صِدْقٌ وَمَا مِن إِلَهِ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي جَاءَ الْفَهَادُ ﴿٥٥﴾ رَبُّ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿[مر ٦٥-٦٦]

ويحوص القرآن معركه التوحيد مع أولئك المشركين ، ومع كل مشرك كان أو سيكون يحوصها في غير هوادة ، مُنْصَبًا حججه البالغة ، مُنْشَقًا مطلقه الدكي .

﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاَسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ

الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْتَفُوا دُعَاءَ وَلِيٍّ

أَجْمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْتَأْذِنُوا لَن نَّبَئْهُمُ الْغَبَّ شَيْئًا لَّا يُسْمِعُوهُ

مِنْهُ صَغْفَكَ الْطَّلَبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿[الحج ٧٣]

ثم يُذَمِّدُهم عليهم بآياته الداحضة .

﴿قُلْ أَدْعُوا إِلَٰهَ رَبِّكُمْ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ

مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ﴿[سبا ٢٢]

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا

أَسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا

يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿[نساء ١٤]

﴿وَأَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٢٥﴾ كَلَّا

سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿[مرم ٨١-٨٢]

﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ صَرًّا وَلَا نَجْوًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان ٣]

﴿أَيُّشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۖ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرٌ وَلَا أَنْفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ﴾ [الاعراف ١٩١-١٩٢]

وهي ختام الملحمة المحاولة يحطّب القرآن رسول الله مُثَبِّتًا مَوَادَّ عَنِ مَا مَعَهُ مِنْ عَقِيدَةٍ وَإِيمَانٍ .

﴿قُلْ هَدِيءٌ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُجُودٌ سُخْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف ١٠٨]

من خلال هذا الحوار لدؤوب، مع المشركين تارة، ومع أهل الكتاب تارة أخرى، كان القرآن يشرح للناس حقيقة «الله» كان يقود الواحد البشري والعقل الإنساني إلى الله الحق، في يد مَبْشُرَةٍ وَاصِحَةٍ، وفي منطق جزل ميبين

وكان سبيله لهذا: إعمال العقل، وتحريك قوى البصر والتأمل والافتتاح، فالأحاجي والألغاز والأساطير لا تدل على الله، لأن الله هو «الحق لمبين» والحق المصن إسماء يسار إليه في هدى العقل الصبير والرؤى الرشيدة

﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ٥٠]

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [المؤمن ٨١]

﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ [الأنعام ٨٠]

﴿أَوْفَرِّفِكُوا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ [الزمر ٨]

﴿قَدْ مَسَّيُوا فِي الْأَرْضِ فَأَنْظِرُوا كَيْفَ سَأَلُوكَ﴾ [الأنعام ١٠]

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الزمر ٢٢]

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر ٤]

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر ٢١]

والقرآن بقدم «الله» إلى عباده في موكب حافل من آيات قدرته،
ورحمته، وعظمته

ومن هو الله؟

إن القرآن لا يحدثنا عن لونه، ولا عن حجمه، ولا عن شخصه، لأن
الله أعلى وأجل من أن يعرف بهذه الأعراف

﴿اللَّهُ نُورٌ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [البقرة ٣٥]

﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ

الْبَصِيرُ﴾ [البقرة ١١]

وردا أردنا أن نعرفه فلندير أنصارتنا في الآفاق وفي أنفسنا، فهناك وهما
مرى من آياته الكبرى ما يدرك عليه

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ [البقرة ٢]

﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلَ فِيهَا رَوْحَاتٍ لِّيُبَشِّرَ النَّاسَ يَوْمَ يُخْرِجُنَا عَنْهَا أَنْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ لَلَّابِتٍ لِقَوْمٍ يُنْفَكُونَ ﴿١٦﴾﴾ وَفِي الْأَرْضِ قُطْعٌ مُتَجَاوِرَةٌ وَجُنُتٌ مِنْ ثَعْنِبٍ وَرَرَجٌ وَبَحِيلٌ صُنُونٌ وَعَبَرٌ صُنُونٌ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاجِدٍ وَتُقَصِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَلَّابِتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الرعد ١٦-١٧]

﴿وَسَحَّرَ شَمْسَ سَمَسٍ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَحَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد ٣٣]

﴿وَسَحَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبِينَ وَسَحَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾﴾ [الرعد ٣٣]

﴿وَالشُّحُومُ مَسْحَرَتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَلَّابِتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ وَمَكَ دَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَنُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَلَّابِتٍ لِقَوْمٍ يَذْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [الرعد ٣٤-٣٥]

﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٦﴾﴾ [الرعد ٣٦]

شَيْءٌ فَلْيُزَكِّهِ ﴿الرعد ٤٥﴾

﴿وَاللَّهُ أَمْتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ بِأَنَّا﴾ [سج ١٧]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ

نَشْرٌ تَنفُشُونَ﴾ [الرعد ٦٠]

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾ [الرعد ٦٥]

﴿إِنَّ اللَّهَ بِمِثْلِ الشَّمْسِ وَالْأَرْضِ أَنْ تَرُوءَا﴾ [الاحقاف ٤١]

﴿نَبْرَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا

سِرَاجًا وَقَمَرًا مُبِينًا﴾ [البرقان ٦١]

﴿وَالشَّمْسُ تَحْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ

الْعَلِيمِ ﴿٢٨﴾ وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَدْرِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ

الْقَدِيمِ ﴿٢٩﴾ لَا الشَّمْسُ يَنْصِبُ لَهَا أَنْ تَدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا النُّجُومُ

سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسَحَّوْنَ﴾ [يس ٣٨ ٤٠]

﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَفْقَيْنَا فِيهَا رُوسِيَ وَأَنْشَأْنَا فِيهَا

مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْرُودِينَ﴾ [الحجر ١٩]

﴿أَمَّا حَمَلُ الْأَرْضِ قَرَارًا وَجَعَلَ جَنَلَهَا أَنْهَرًا

وَجَعَلَ هَا رُوسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِرًا

أَيْلَهُ مَعَ اللَّهِ نَزَّ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزل ١١]

﴿وَنَرَى الْجِبَالَ تَحْتَ حِمْدَةٍ وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ

صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَضَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزل ٨٨]

﴿يَتَّخِذُ فِي حَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاَحْتِلَافِ اللَّيْلِ
وَالنَّهَارِ لَآيَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [ال عمران ٩٠]
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُوَلِّجُ اللَّيْلَ فِي نَهَارٍ وَيُوَلِّجُ النَّهَارَ
فِي لَيْلٍ﴾ [البقرة ٢٩]

﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى
الْلَّيْلِ﴾ [الزمر ٥]

﴿يُعْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ﴾ [الاعراف ٥٤]
﴿أَرْسَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَدَّكُمْ سَكَبَعٌ فِي
الْأَرْضِ﴾ [الزمر ٢٧]

﴿وَأَرْسَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا ۖ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا
وَبَاقًا ۖ وَحَبَّتِ الْأَعْقَابُ﴾ [البقرة ١٠٤-١٠٦]

من خلال المظهر في هذه الآيات الكسرى يريد القرآن أن يصل اساس
ربهم وأن يعرفوا إليه تتأملهم وتفكيرهم

قاله هو اقوي المقتدر والخالق العظيم وهو من وراء كل هذا انكون
لمديد ابعد الرحيم العجيب هو من ورثته بقوته وقدرته وإبداعه ، وهو من
ورائه محض

من شاء أن يراه فيها هو ذا في كل آثار رحمته وقدرته

في البثّة الصالحة .

في العطرة لهاطلة

في الشعاع ، بحافلة

في مواقع انجوم

في الليل إذا يعشى

و نهار إذا تجلى

في الشمس تجري لمستقر لها .

وفي الأرض يمر مر السحاب

في كل ما خلق له من شيء يستطيع أن يرى الله نور السموات
والأرض وبارئهن العظيم

فإذا أردنا أن نعرف طرفا من صفاته والفرق لا يحل علينا بما نريد

﴿هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْعَصْرِ﴾ [المش ٥٦]

﴿عَلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْغَبِيرُ الرَّحِيمُ﴾ [السجدة ٦]

﴿لَا يُخَلِّفُ الْيَمِينُ﴾ [آل عمران ٩]

﴿وَلَمْ يَجِدْ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحراب ٦٢]

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّؤُوفُ﴾ [البروج ١٤]

﴿حَزِيزُ الْمُكَرِمِ﴾ [آل عمران ٥٤]

﴿الرَّحِيمُ﴾ [الأنعام ٢٨]

﴿لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ [آل عمران ٥٧]

﴿يَقْضِي بِالْحَقِّ﴾ [النمل ٢٠]

﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة ٢٠٢]

﴿شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة ١٩٦]

﴿كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام ١٢]

﴿وَهُوَ تَعَزُّبُ الْحَكِيمِ﴾ [طه ٢]

﴿وَهُوَ تَوَلَّى الْحَمِيدُ﴾ [الشورى ٢٨]

﴿بَدَى الطَّلَوُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهَ الْمَصِيدِ﴾ [عنبر ٣]

﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء ٨٧]

﴿وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام ١٨]

﴿الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد ٩]

﴿وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبا ٢٦]

﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر ٢٨]

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة ٢٥٥]

﴿وَمِعَ كُرْسِيِّهِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [البقرة ٢٥٥]

وأخبار

﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ يُخْرِجُكُمْ مِنْ
الطُّلُمَاتِ إِلَى السُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾

١٤٣١ هـ

﴿فَدَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ نَعَادًا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الصَّنَدُ﴾

فَإِنِّي تُصَرِّفُ ﴿[بوس ٣٢]﴾

على هذا النحو توفّر القرآن على قضية الإيمان والتوحيد كما لم يتوفر على قضية أخرى سوها .

وما كان بوسعها ألا يفعل ، فلقد جاء القرآن يوم جاء إلى دينا مُثْقَلَة بألّهة كاذبة من أصنام الحجر وأصنام البشر .

والمطررة الإنسانية يومئذ كانت تحتاز في كل الأرض ، لا في مكة وحدها ، مِنْحَةً عاتيةً مظلمة

والقرآن الذي يعني تماما مسئوليته عن هذه المطررة كان لابد له أن يردّها إلى جوهرها

وسبيل ذلك أن يردّها إلى الإله الحق ويحررها من كل حصوع ورضوخ

من أجل ذلك ذهب القرآن الكريم يُثَبِّتُ في أفئدة الناس يقيناً كاملاً بأن الله وحده الرحيم الودود هو بارئهم ولهم ومه وحده يسمدُ الضمير الإنساني سيادته وكيّنه

ويريد القرآن بهدّ أن يحرّر الناس من كل عبودية رائقة يفرصها عليهم لأقوياء دأموالهم أو بسلطانهم أو بما معهم من جاه وصلف

فقضية الإيمان بالله الواحد الأحد ليست مجرد شعار ديني يرفعه القرن بل هو يراها كبرى الحقائق التي إذا خرجت الحياة الإنسانية عن فلكها السيار تبدّدت وتلاشت

وحين نلوا الآيت التي ركنى بها القرآن قضية التوحيد هذه بلمح في

يُسَرِّعُ العرض الإنساني الذي ترفعنا إليه هذه الآيات ألا وهو تحطيم الأغلال
التي نرسم فيها إرادة الإنسان وفتح طريق انتطور والنمو أمام حرية الصميم

* * *

1

2

3

4

5

6

7

8

9

تعريف بالكاتب

حالد محمد خالد

(المتوفى ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م)

كان مولده يوم الثلاثاء ٢٧ رمضان سنة ١٣٣٩ من هجرة سبي صلي الله عليه وسلم الموافق ١٥ يونه سنة ١٩٢٠ ميلادية، في "أعدوه" إحدى قرى محافظة شرفية بمصر، والنحو في طفولته بكتاب العربية، فقصي به نصح سوت، جمعته في "ثديها قدرًا من لفرآب، ونعم الفراءه والكنانه . ولما عقد والده - الشيخ محمد خالد - عرته على أن يلحقه بالأهر لشراف، حمه إلى القاهرة، وعهد به إلى "الأكر"، الشيخ حسن" سولي تحفيص القرآن كملًا، وكان ذلك هو شرط الالتحاق بالأهر في ذلك الوقت.

تم حفظ القرآن كله في وقت قصير وهو حمه "شهر كما يس ذلك مفصلاً في مذكراته" قصي مع لحة "نم النحو بالأهر في سن مبكرة، وظل يدرس فيه على مئة حقه لأعلام طيله سنة عشر عامًا، حتى تخرج فيه، وبذل شهادة لعالیه من كليه لشریعة سنة ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م، وكان آنذاك زوجًا وأبًا لأحسن من بعده.

عمل بالدرس بعد التخرج من الأهر عدة سنوات حتى بركه بهئنا سنة ١٩٥٤، حيث عين في وزارة الثقافة كمستشار لسر، ثم برك انوظائف نهائياً بالخروج الاخيرى على المعاش عام ١٩٧٦

وإذا كنت له عروض معربة كثيرة ليل وظائف قنادية في لدوة، سواء في رئاسة جمال عند العصر أو أنوار اسادات، فكان يعتذر عنها، ورفض عروضاً أخرى كثيرة لاسفار يسبب لها السحاب، وثرأى يهي في حياته لسطه المنو صعة اسي بعلب عنها ارهد والمصوع*.

وقد تقلبت حياته في أطوار متعددة، من حفظ مبكر وسريع لقرآن الكريم، إلى طاب ديه بالأزهر الشريف، إلى شب معطش بمعرفته، نواق إلى أنواع الصور والآداب والتفكير، إلى مغمس في السبسة مشغول بها، إلى حطب درع نهر حطبه السبسة أعواد سمير، ثم إلى واعظ بغير دروسه وخطبه العلوب بشوة الإيمان، إلى عابد مشغول بالآخرة، وصوفي مشغول بربه، وهكذا وقد شرح ذلك بالتفصيل في مذكراته لنسب كتبها وجعل عناوينها قصتي مع الحياة.

وفي سن مبكرة التقى بشيخه لمربي الكامل لشيخ محمود خطاب السبكي، مام أهل السنة ومحدد روق الإسلام كما وصفه هو - وكان محبته من أعجيب رمان، وشهداً على ما يبض الله على أولاده وأحبابه من واسع فضله وعطائه (**).

وصفه بقوله "إن وصفه لمن الأمور لصعبة، ولحدث عنه بقدر ما هو شهى وسدى.. يوقع بكاتب في حيرة، وهكذا يكون شأن مع أئمة الله والمرسلين، ومع أولاده المقربين. فحين يشق عسرهم أبدى ينصوع بها، وعطراً.. وينقب في بعماء ما آناهم الله من نور وهدى وحكمة بيد أن الاقتراب منهم يفرض عيب من التبعات مالا نصيق والحديث عنهم،

(*) انظر "قصي مع المصروف" لخالد محمد خالد بشر دار المقليم للنشر والتوزيع بالقاهرة

(**) انظر قصي مع المصروف

وتمسير موافقهم، أمر يعسر نذوله، لا عني من يجعل اليه عسره يسراً" (*)

وكما كانت حياته في بواكيرها كالنهر لدى تحشش مبهه بالصبان،
ونصب في ندق وعيوان، فإنه كلما اثرب من البحر هدأت مواجها،
واطمأت مسيرته، حتى إذا امتزج بماء البحر صبر له هذوؤه وشموله
و نساغه.

وحاءت مؤلفه الرائدة كذلك؛ بدأت نائرة متدفقة وانتهت إلى
الروح والبقين.. وفي كاهل كان محلياً، لا ينبغي لأي منها عرضاً من
أعرص انديا من لقد جاء به انديا نعرض نفسها عنه من "وسع بوابها،
فأوصد دويها منه

ومثال عني ذلك أن جمال عبد الصر ورفاقه في مجلس قيادة الثورة
كانوا قد قرأوا كتبه قبل ثورته، وحمسوا بها بدرجة أن عبد الصر كان
يشتري منها - من حبه أحياناً - مئات السح ويورعها على رملاته
الصراط **، ومع ذلك فإنه لما قامت الثورة لم يرد أن يستفيد منها،
وكان عرضها في ذلك عظيمه، ولكنه بدلاً من ذلك وقف ساقداً للثورة
موجهاً لها، مطالباً حكومتها بتطبيق الديمقراطية، فكان صدور كتبه
"الديممر طيه أند" بعد منه أشهر فقط من قيام الثورة في ٢٣ يوليو سنة
١٩٥٢.

وطلب هذه موافقه من الثورة ورجلها حتى نوجت بموقفه الفريد في

(*) من مقدمه الكتاب "أصبح الشيخ محمود عطاب إمام المسد وعطاب "الاضباب" بلاستة توفيق أحمد

حسن، دار للطبع بالفاهره

(*) انظر "قصي مع الحياة" فصل حوار مع عبد الناصر

"اللجنة استحصريه" سنة ١٩٦١، وفيها انتقد موقف الثورة من قصاب
لحريه راند بمهر طيه، وعرض ما أراد عند اساصر للممسه من
إجراءات بعسفة ضد من "سموهم - جسد - نهانا الإقطاع، وأعداء
الشعب . بعد أن برعو أموالهم عصاً وطنياً، واكلوا بهم عبر جريرة
ارنكوه، فصارو بعد عر في دل، وبعد عني في وقه وعور، وبعد من في
خوف، ولا يحدون من بدافع عنهم، و سصر لهم فكان هو الصوت
الوحيد الذي ارفع في وجه الصمت والحدوف، مد قفاً عن بحوف طالب
لهم بدلاً من لعزل اليسى "لعدى" السياسى، ولما "حد التصويت
في مجلس عني من بعرض عني إجراءات لعزل اليسى، كانت يده
هي الوحيدة التي ارفع في سماء لقاعة لنى صمت يومئذ - ثلاثائه
وستين عضواً* .

مند كتابه الأول "من هاسد" خرج حيد محمد خالد على لاس
ككتاب قد، وصاحب فكر، ومفوح عن قصيد لأمة وسدا يحدد موقعه
كمصلح جماعى ورعيم فكبرى بعصب به حمهير عصبه من لاس،
وأعحت بكنه وأفكاره، ليس في مصر وحدها، بل وخرجها أيضا
وطمع "من هاسد" سب طبعات في سس، ثسس، وترجم في نفس
لسه نى صدر فيها، لى الإنجليز به فى أمريكا، وكسب عنه عدة رسائل
وأبحاث جمعه ومفالات فى أنحاء متفرقة من أورب وأمريكا .
ولكن قصرة المؤلف لبعه، وبه الصدقه حملاه - فيما بعد - بقول إنه
عند رى جدوة أعداء لإسلام بكتاب أدرك به أخطأ فيه .

^١ نظم "نفسى مع الحياه" فصل حوار مع عبد الله

وهنا ينبغي و حد من موقفه التي امتلأ بها حياته، إذ ظل يفكر فيما دعى إليه من فصل الدين عن الدولة وبملء فيه حتى أعنى على الملأ رجوعه عن هذا الرأي، فلم يحسن وهو انكسب الكبير من أن يعلن أنه 'خضاً' وراح بصحح دينك لخصاً بكل قوته
فلم يترك وسيلة من وسائل دعة هذا التصحيح إلا أنها من مقالات، أو تحقيقات صحفه أو دأعه أو تهربويه.. ثم لم يكتف بهد كنهه، فكتب كتاباً كاملاً 'عن فيه صحيحه لرأيه الأول، وراح يـلـس على ن للإسلام دين ودولة، بل إنه جعل شعار الكتاب هو 'إسلام دين ودولة حق وقوة..

ثقافة وحضارة.

عبادة وسياسة."

وقد حلف - رحمه الله - نروه عذمة كبره تربو على ثلاثين كتاباً، غير المقالات ولا أحدث الكثرة سي لم يجمع بعد وقد نفع الله بأعماله كتب نفع كثيراً، وبتفقه انقراء في شوق، لأنها - ككل أعماله - تسبب بالإحلاص، وتدفقت بالعاطفة الصادقة الحياشة..

وأشهر مؤلفاته، وأكثرها انتشاراً هي 'إسلاميات النبي حواء فريدة في بابها من حيث الأسلوب، وطرفه الأول، وأشهره على الإطلاق "رجال حول الرسول ﷺ" لدى تحدث فيه بعد عن سيرة النبي من أصحاب رسول الله ﷺ، و خلفاء لرسول ﷺ "أبدي صميم دينه حمه كتب عن الخلفاء الراشدين

١- "وجاء أبو بكر"

٢- "بس بدي عمر"

٣ "وداعاً عثمان"

٤. "فى رحاب على"

٥- "معجزة لإسلام عمر بن عبد العزيز"

وقد ترجمت هذه الكتب إلى لغات كثيرة في أنحاء عديدة من العالم.. ومن كتبه أيضاً: "أبء الرسوب فى كربلاء" و "والموعذ الله" و "لقاء مع الرسول ﷺ" و "كما يحدث الرسول ﷺ" و "كف يحدث القرآن" و "إنساب محمد ﷺ" و "عشره أيام فى حبة لرسول ﷺ" وغيرها..

أما كتبه السياسية والإسبانية و لاجتماعية والعقائرية فهى عديدة كتب منها ثلاثة كتب فى موضوع الديمقراطية وحدها، وهى الديمقراطية أبداً" و "دفاع عن الديمقراطية" و "لو شهدت حوارهم لقت". راجع قائمة المؤلفات فى آخر الكتاب..

وكتب أيضاً مذكراته فى كتاب "قصي مع الحباه"، وقد نشرت لأول مرة فى جريدة "لمسلمون" أسعوده و "المصور المصريه فى ن و حد، وبعد أن تمت طبعت فى جزء و حد فى مؤسسة أحرار سو، ثم طبعت طبعة جديدة بدار لمقطم بالقاهرة. وكان آخر كتبه "الإسلام ينادى الشر"، وقد أراد له أن يخرج فى ثلاثة أجزاء.

الأول: إلى هد، لرسول ﷺ

الثانى: "إلى هذا الكتاب" (القرآن)

والثالث: "إلى هذا الدين"

ولكنه لم يتمكن إلا من كسبه لجزء الأول، ثم وفتته اسمه.

أما عن عاده في الكتابة، فإنه لم يكن يحسن كتابته - فسطح - إلا إذا استشعر الحاجة الممحة لذلك، ويكون الفكرة التي يريد الكتابة عنها قد نضجت، وطلبت الظهور، حينئذ يحسن في أي مكان، وفي أي ظروف، ويند في الكتابة دون أن يهتم لما حوله أو يسرع به وقد تمضي أحاديث من حياته سواء دون، أن يكتب فيها شيئاً لأنه لم يجد ما يهيج في نفسه الدافع لكتابه

وقد انسمت كتاباته بأسلوب رشيق بهج، وقدرة فائضة على التعبير و لعوض إلى جواهر، لأشياء، ووصفها بيسر وزوعه، واقدار وكان كثيراً ما يسأل عن السر في جمال أسلوبه فكان يقول:

"إن الأسلوب في الكتابة لا يصنعه شيء إلا رب العالمين

وقد ورد الدكتور شكرا لبيسي في كتابه الذي كتبه عنه نموذجاً من كتابته، وجعله تحت عنوان "عرف لعوى"، وهو العنوان الذي يصف رشاقة أسلوبه وحماله، وثقوده إلى القلوب..

وكن - رحمه الله - طيب النفس، مسشراً في عهده أوفانه، تعلب عليه السكينة والتأمل..

وكن عية في الكرم، عاه في، لتواضع وس الاحلاق، برأ بوالديه وصولاً للأرحام مراعاةً لحقوق الرمانه ولجيرانه، ساعياً إلى احرازهم في قصص حوائج الناس، لا يمتن من كثرة قاصديه، ولا يصير من إلحاح

¹ نوره التواتر في مدني فكر عماد محمد جمال الدكتور شاكر النابلسي

بعضهم عليه حتى في وفات مرضه، وكان يقول: "مك دكة، لجاه
وانسمت حذبه كنها بالرمع في نعال والمصاب ومظاهرة السحاه، وقد
استفص في وصف ذلك من عرفوه وكسوه عنه"،* ومن دبت نص موقفه
التي أظهرت ما كان عليه من شجاعة ومن مكارم الأخلاق منها موقفه من
الأخوان المسلمين الذين كان قد عرضهم قبل الثورة، ولكنه بعدها،
وبعد أن نكبت الثورة بهم ومرقتهم كل مفرق، طُلب منه مهاجمتهم وبفدهم
فأبى ولم يحصع لإعراء ولا تهديد فائلاً لقد فشلت، لإخوان وبهدب
فكرهم وسوكهم يوم كان بعض قادة الثورة من محبديهم أو يوم كانوا من
لقوة بمكان.. ما سؤم وهم في المعصلات واستجوت تحت وطأه
التعذيب، فقد أوصانا سيدنا الرسول ﷺ ألا نجهر على حريح
وقد نقل الشيخ يوسف الفرصوي تفاصيل هذا الموقف في مذكراته
التي نشرها في جريدة "أفاق عربية" (عدد رقم ٥٧٣).**

كان - رحمه الله - محباً للحبر، مسارعاً إليه، كأنه كان يصف كوكب من
الحير في نفسه عندما كتب هذه سطور من كتابه "لقاء مع الرسول ﷺ"
"فإذا سألتني - أيها القاريء - ما للحبر؟ أجبت من فوري إنه
لحبر إنه ذلك الذي يجعل الإنسان إنساناً حتى القتب، رسالة الصمير
وذلك الذي يجعل منك ملائلاً لأخرين، يأوون إليك كما يأوي المحرور
إلى ظل شجرة، أو كما يأوي الضمير إلى عن ثرة بعض دلماء لبرد
الحير.

* جمع قصي مع التصوف" ص ٣٧ وما بعدها جميعه . انقطع بالعاشرة

** جمع "قصي مع التصوف" ص ٤ وما بعدها طبع بمطبع

هو انعكاس إنسانيتك على الآخرين، وإصغاء قصصك عن نفسك لخدمة
لكريمة على الحدة وعلى الأحياء.

وإن حير ما يصنع امرء في حياته هو أن يسع حبه الله والبشر رحمة
وبراً، ومحبة ووداً".

فكان محبا للبشر، لجميع الناس، مستدساً بهم، مودداً إياهم،
متعافلاً عن أخذ ثمنهم متسامحاً مع من يسيئون إليه..

كان - بحدود - محققاً بأخلاق الإسلام، وإن لم يحرص على أن
يكسو نفسه عظمة.. بل كان به مظهر الرحمن العادي - كسائر الناس أم
سواك - وأخلاقه فكانت تدل على عمق إيمانه ورسوخه به.

وكان يعرف ذلك إلى الصوف فيقول في مذكرته

ومره أخرى: "نحى إجلالاً للصوف، فهو لدى سكت في روحى كل
ما روى ظمأه، إلى الحير والسكبه والمرحمة والمعدنة، وكل ما بقى في
.. من قربات ومعنم ومعام، ومن قصائد وفدرة وإصرار قلبه.. ولا
يرجع البعض بين كل الأسباب، وقس كل لأسباب"

لقد كان - رحمه الله - ممن شرب روح الصوف منذ يفاعته، ولم
يكن تصوفه - لا في فنه، فلم يتم، لى أى من طرفه، بل منه مكراً على يد
شبحه اسكى رضى الله عنه (*)

وكان محباً لأهله أيما وجدوا مداوماً على زيارة أضرحة أهل
البيت، وأولياء الله الصالحين .

ومن أقواله المأثورة:

• "إنى لا أرفض إنساناً لأن فيه خطأ أو اثنين أو عشرة، وأرفض معه

- بقية فضائله، فقد توجد فيه فضيلة واحدة تزن صلاح مائة عابد .
- "إن الحب هو جوهر الحياة.. إن الحب يولد في النفوس طاقة لا تعدلها طاقة أخرى في الكون ولا تقابلها"
- "الله سبحانه لا يعيق المهاجرين إليه، والمسافرين إلى رضوانه، بل يجعل لهم الأرض مهداً، والسماء مَبلاً"
- "على رأس فضائل الحياة وشعار الدين تقف فضيلة الحب"
- "لا بد للحب كي يصفو ويدوم أن يكون خالصاً، صافياً، نقياً، وبكلمة واحدة: أن يكون لله رب العالمين"
- "كما ننام نموت.. وكما نستيقظ نُبعث.. ومن كان في شك من الموت والبعث، فليعيش إن استطاع بلا نوم وبلا استيقاظ"
- "علاقة العبد بربه تتطلب مراجعة مستمرة للتبعات التي تفرضها والسلوك الذي نحمل به هذه التبعات"
- "إننا من طول ما ألفنا بعض الآيات القرآنية، وبعض الأحاديث النبوية، أصبحنا لا نهتز من أعماقنا للسُرِّ الباهر الذي تحمله، والحكمة الثاقبة التي تمنحها"
- "إن صحبتنا الصالحين الذين لم تجمعنا بهم خلطة مباشرة تكشف عن حقيقة أنفسنا ومالها من حظوظ الخير والفضيلة"
- "لا تجد مؤمناً إلا حياً، ولا منافقاً إلا عديم الحياء"
- "الإسلام لم يأت ليعلمنا أخلاق الصوامع.. بل ليعلمنا أخلاق المدينة"
- "الكذب مفسدة مطلقة، لأنه سريع النمو، سريع الانتشار، وله ضراوة كضراوة الخمر أو أشد"

- "الرياء آفة تمحق الأعمال وتردها تراباً في تراب".
 - "التواضع نعمة من الله يهبها لكبار النفوس".
 - "الإيمان بالقدر لا يقول لك: نعم وانتظر قدرك.. بل يقول: قم واكشف قدرك".
 - وسئل عن القومية العربية فأجاب: إني لا أعرف شيئاً عن القومية العربية، ولكني أعرف أشياء عن الوحدة الإسلامية".
 - وقال شعراً في عيد مولد النبي ﷺ:
- يا عيد مولده كم ذا تواتينا تشدو فتبهجنا، تشجو فتبكينا
قل للرسول إذا ما جئت روضته أدرك شعوبك قد حار المداوينا

وفاته:

كان - رحمه الله - قد مرض مرضاً طويلاً، واشتد عليه في سنواته الأخيرة، ومع ذلك كان دائم القول: "لا راحة للمؤمن دون لقاء الله" ولم تكن فكرة الموت ترعجه، بل كان كالمنتظر له على شوق، وقد استعد له، وأوصى بما يريد..

وكان من وصيته أن يُصلى عليه في الجامع الأزهر، مع هذه العلمى، ومرتع صباه وشبابه، وأن يُدفن بقريته "العدوة" بجوار الآباء والأجداد والإخوان والأهل..

وجاءته الوفاة وهو في المستشفى يوم الخميس، ليلة الجمعة ٩ شوال سنة ١٤١٦هـ - الموافق ٢٩ فبراير سنة ١٩٩٦م - عن عمر يناهز الستة والسبعين عاماً.

اللهم انى قد قلت فيه مبلغ علمى..
 ولا يخلو كلامى من أثر حب النولد لوالده..
 اللهم لا تكله إلى عمله..
 واشمله برحمتك يا بر يا رحيم..
 وصل اللهم على الحبيب الشفيع..
 سيدنا محمد ..
 وسلام على المرسلين..
 والحمد لله رب العالمين..

محمد خالد ثابت

الفهرس

تمهيد	٣
مقدمة	٥
الفصل الأول : عن نفسه ..	
﴿ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ ﴾ [يونس: ١]	١١
الفصل الثاني : عن منهج الدعوة إلى الله ..	
﴿ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥] ..	٢٥
الفصل الثالث : عن البسطاء الكادحين ..	
﴿ وَمَا يَدْرِيكَ لَعَلَّكَ يَرْزُقُ ﴾ [مريم: ٣] ..	٣٧
الفصل الرابع : عن اهتماماته الإنسانية ..	
﴿ وَاللَّهُ يَسْمَعُ نَحْوَهُ رَكْمًا ﴾ [المجادلة: ١] ..	٥٣
الفصل الخامس : عن وحدة الدين ..	
﴿ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣] ..	٦٧
الفصل السادس : عن قضية التوحيد ..	
﴿ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ ﴾ [الأنعام: ١٠٢] ..	٨٣